



الجمهورية التركية  
جامعة ماردين أرتقلو  
معهد اللغات الحية في تركيا  
قسم اللغة العربية وثقافتها  
دراسات عليا (ماجستير)

## الصوائت العربية: اللفظ والكتابة والوظيفة

عبد الخالق العبد الله

17765007

المشرف: د. خالد العدواني

ماردين

2021

## إهداء

إلى روح والدتي التي حملت دائماً برؤيتي ناجحاً، ولم يسعفها الأجل.

إلى أختي التي كانت منذ طفولتي أُمي الثانية.

إلى زوجتي التي سهرت أضعاف ما سهرتُ على هذا البحث، ولولا إلحاحها لما كان له أن يتم.

إلى صغيرتي "ناي"، التي أرجو أن تكون فخورة بي عندما تكبر.

إليكنّ أقدم هذا البحث وثمره تعب كثير وسهر طويل.

## شكر وعرافان

أقدم أسمى معاني الشكر والتقدير لكل من وقف بجانبني في رحلة إنجاز هذا البحث، من أساتذتي وأصدقائي وإخوتي وأقاربي، وأخص بالذكر أساتذتي في معهد اللغات الحية بجامعة ماردين أرتوكلو: د. وبسي أونفيردي، د. إبراهيم الشبلي، د. عامر الجراح، الذين كانوا طوال فترة الدراسة إخوة كرماء لم يبخلوا علينا بشيء في سبيل نجاحنا.

وأشكر صديقي ورفيق دربي الذي باعدت بيننا المسافات د. بسام جميل على كل كلمة ساندني بها لإنجاز بحثي.

وأخيراً وليس آخراً، أقدم الشكر الجزيل والتقدير وكامل الاحترام لمشرفي وأستاذي وأخي الكبير د. خالد العدوانى الذي لم أكن لأنجز هذا البحث لولا متابعته ونصحه لي، وإصراره عليّ لإكمال البحث. كل الشكر والتقدير لكل من شد أزرى ولو بكلمة لأنهي هذا العمل.

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء وآخر المرسلين.

اللغة نظام مركب من أصوات وعلاقات تربط هذه الأصوات ببعضها، وكل لغة تقوم على نظام صوتي تنقسم فيه الأصوات إلى صوامت وصوائت، واللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات ينطبق عليها ذلك، والعربية تحوي أربعة وثلاثين صوتاً، ستة منها صوائت والباقية صوامت، والصوائت العربية الستة تنقسم بحسب الطول إلى ثلاثة قصيرة ومثلها طويلة، وقد اصطلح القدامى على تسمية الصوائت الطويلة بحروف المد، أو حروف المد واللين، أما القصيرة فأطلقوا عليها اسم الحركات، وقد عرفوا ببديع ذوقهم الرابط الذي يجمع بين هذه الأصوات، فقالوا إن الفرق بين الطائفتين إنما هو فرق في الكمية لا في الطبيعة، على أن ما يعاب عليهم في هذا العمل إهمالهم أهمية الصوائت القصيرة، التي عدوها لواحق تطراً على الحروف، حتى ذهبوا إلى دراسة موقعها أهي قبل الحرف أم بعده أم ملازمة له، وهذه نظرة أثبت البحث العلمي الحديث خطأها، فهذه الصوائت القصيرة حروف تامة لا تختلف عن أهمية الصوامت في الكلمة، بل إننا ندعي أنها تفوقها أهمية لوظيفتها داخل التركيب الصرفي والنحوي وحتى النصي، وجاء اهتمام القدامى بالصوامت على حساب الصوائت نتيجة لاتباعهم نظرية الأصل والفرع، فالصوامت تشكل جذور الكلمات وأصولها، وأما الحركات فهي الزوائد التي يمكن الاستغناء عنها في رأيهم.

وفي العصر الحديث، ومع ظهور علم اللغة وازدياد الباحثين العرب فيه ومن قبلهم المستشرقين، أدت دراساتهم إلى تسليط الضوء على الصوت اللغوي بشكل علمي، فكان من نتائج ذلك المعرفة الدقيقة لمخارج الحروف وصفاتها، وفق أجهزة قياس حديثة ودقيقة، بعكس القدامى الذين اعتمدوا الذوق الشخصي مقياساً لكل ذلك، فعرف المحدثون قيمة الصوائت، وأهميتها في النظام اللغوي لكل لغة، حتى جاء دانيال جونز في مطلع القرن العشرين ليضع ما عُرف لاحقاً بالحركات المعيارية، التي وضعها لتعبر عن الصوائت في كل اللغات البشرية، غير أن عمله لم يراع الفروق بين اللغات المختلفة، ولكنه يبقى عملاً كبيراً أفاد منه كل دارس للأصوات.

ورغم كثرة الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الصوائت؛ غير أنها في الغالب دراسات عامة للصوت اللغوي بشكل عام، فلم تخصص دراسة للبحث في الصوائت بشكل منفرد ومتخصص، شاملة جوانب البحث فيها من مختلف النواحي، ومن هنا جاء سبب اختيار هذا البحث، فالصوائت من الأهمية بقدر تستحق فيه تخصيص بحث خاص لها يعطيها حقها من الدراسة والتدقيق، ولا يهمل جانباً على حساب آخر، فالهدف من هذا البحث هو الإحاطة بالموضوع من جهات مختلفة متفقة في الهدف، وهو جمع كل ما يخص هذه الأصوات في مكان واحد، فمادة هذا البحث مفرقة بين الكتب والدراسات، نحاول جمعها ووضعها في قالب واحد خاص بها، فالدراسات التي استعنا بها تأخذ الموضوع من جانب دون الآخر، فمنها ما يتحدث عن مخارج الحروف وصفاتها، بشكل عام يشمل الصوامت والصوائت، ومنها ما يعنى بالكتابة العربية منذ نشأتها، ومنها التي تعنى بوظائف الصوت اللغوي، وكان جهدنا في هذا البحث يركز على جمع هذه الأشتات في مكان واحد يسهل العودة إليه لكل طالب لهذا العلم.

وتكمن صعوبة هذا البحث في الكم الكبير من الأبحاث والدراسات التي تتناول جوانب تعني البحث، بالإضافة إلى كون هذا العلم قد تُرجمت أعماله العربية في الغالب من لغات أجنبية، فكان من نتائج ذلك اختلاف المصطلحات وكثرتها، فمصطلح الصوائت الذي استعملناه لم يكن سائداً لدى جميع الباحثين العرب، فمنهم من يسمي هذه الأصوات بالحركات، ومنهم من يسميها أصوات المد، وأصوات المد واللين، والأصوات الذائبة، والأصوات المصوتة، وكل هذه المصطلحات مستعملة في دراسات وأبحاث شهيرة، واختلاف المصطلح قد يشكل لبساً على الدارس بالإضافة إلى ما قد يحمله من خطأ.

وكما أشرنا سابقاً فإن العصر الحديث قد شهد سيلاً من الدراسات والأبحاث في علم الأصوات، والغالب في هذه الدراسات أنها في الغالب لم تكن متخصصة في الصوائت دون غيرها، والأبحاث التي تخصصت في الصوائت تناولت جانباً واحداً هو في الأعم الأغلب الجانب الوظيفي، كدراسة عمر بورنان ووظائف علامات الإعراب وهي دراسة أعدت لنيل درجة الدكتوراة في الجزائر، ولا يخفى من عنوانها أنها تبحث جانب الوظيفة الدلالية للصوائت القصيرة، والملاحظ أن الجامعات الجزائرية تعطي أهمية فائقة لعلم الأصوات، ولكن جل الأبحاث التي وصلتنا منها تتناول الجانب الوظيفي، أما ما يتصل باللفظ والكتابة فمادتهما موزعة على شكل فصول صغيرة في كتب لغويينا القدامى والمحدثين.

اعتمدنا في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي، وذلك لتوصيف الحالة ومن ثم استقراء ظواهرها والوصول للنتائج، مع الإشارة إلى استعمالنا في بعض أجزاء الفصل الثاني للمنهج التاريخي، للغور في نشأة الكتابة العربية، وتجلياتها الأولى، وقد جاء البحث في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، أوضحنا في المدخل مفهوم الصوائت وفق علم الأصوات الحديث، ثم تكلمنا على الصوائت العربية من حيث عددها وأقسامها، ثم شرحنا المعايير التي اعتمدها اللغويون في تقسيمهم لها، وختمنا المدخل بإبراز أهميتها ومظاهر عناية اللغويين بها، من قدامى ومحدثين، أما الفصل الأول، وهو بعنوان: الصوائت العربية قضايا لفظية، فقد تكلمنا فيه على مخارج هذه الأصوات وما وقع فيه القدامى من اختلاف في ذلك، ثم صفاتها ثم العوارض التي تصيبها من تقخيم وترقيق، وكل ذلك من خلال استقراء آراء اللغويين القدامى والمحدثين، وأما الفصل الثاني، وهو بعنوان: قضايا كتابية، فقد خصصناه للحديث عن بدايات الكتابة العربية منذ ظهورها حتى عصر التدوين، والتركيز على الشكل الكتابي الذي أخذته الصوائت في تلك المرحلة، ثم تحدثنا عن جهود علمائنا الأوائل في القرنين الأول والثاني الهجريين في تطوير نظام الكتابة العربية فيما يخص الصوائت بالذات، وذلك من خلال ما قام به أبو الأسود الدؤلي أولاً ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم تحدثنا عن آراء اللغويين في العصر الحديث في التمثيل الكتابي الموروث للصوائت واقتراحاتهم لتطويره، وأخيراً أبدينا رأينا في هذا التمثيل الكتابي، واقترحنا إجراء تعديل على الواو والياء الصائنتين لتمييزهما عن الواو والياء الصائنتين، وأما الفصل الثالث، وهو بعنوان: قضايا وظيفية، فقد تكلمنا فيه على وظيفة الصوائت من نواحٍ ثلاث، الوظيفة النطقية التي تكمن في سهولة النطق بالكلمات والجمل، والوضوح السمعي الذي تنماز به الصوائت، فتضفيه على ما يجاورها من صوامت، والوظيفة الدلالية، وذلك من خلال إبراز الدور الذي تقوم به علامات الإعراب وما تدل عليه من معانٍ تعين على تحديد الأبواب النحوية، وختمنا الفصل بالحديث عن الوظيفة الإيقاعية التي تقوم بها الصوائت في إنشاد الشعر والترنم به، وفي تلاوة القرآن، إذ تغير المدود من مواضع النبر، لتشيع إيقاعاً يناسب سياق النص القرآني. وأخيراً ختمنا البحث بخاتمة مختصرة لخصنا فيها ما سبق.

وقد اعتمدنا في إعداد البحث على الكثير من المصادر والمراجع، القديمة منها والحديثة، فمن أهم المصادر القديمة التي ارتكز البحث عليها، كتاب سيبويه، وكتاب ابن جني سر صناعة الإعراب والخصائص، بالإضافة إلى مقدمة كتاب العين للفراهيدي، وأما المؤلفات الحديثة فهي كثيرة جداً نذكر منها: اللغة العربية

مبناها ومعناها لتمام حسان، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، بالإضافة إلى بعض الأبحاث المنشورة في مجلات علمية وبعض الرسائل العلمية.

وأخيراً، أقدم خالص شكري، لأستاذي الدكتور خالد العدوانى على إشرافه وتتبعه لهذا العمل، وتوجيهه الدائم لي، كما أتوجه بالشكر لأعضاء اللجنة المحترمة على قبولهم مناقشة هذه الرسالة، لتقويم اعوجاجها، وإصلاح عثراتها، من خلال ما سيدلون به من ملاحظات وتوجيهات، أتعهد بالالتزام بها وتنفيذها.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت السميع العليم.

عبد الخالق عبد الله

ماردين 2021

## المخلص

هذ البحث محاولة للإحاطة بالصوائت العربية من جوانب مختلفة، ففي ظل اهتمام القدامى بالصوامت كونها أصول الكلم، والصوائت فروع أو لواحق لها، نجد المحدثين قد أولوا الصوائت اهتماماً أكثر، غير أن هذا الاهتمام جاء على شكل فصول متفرقة ضمن دراسة الصوت اللغوي؛ بقسميه الصامت والصائت، أو ضمن دراسة الأصوات بمستوياتها الأكوستيكية والفيزيائية النفسية والسمعية، ومن هنا رأينا أن نخصص هذا البحث للصوائت دون غيرها، لنتناولها في فصول ثلاثة: اللفظ والكتابة والوظيفة، فأما فصل اللفظ، فقد تحدثنا فيه عن مخارج هذه الأصوات وصفاتها والعوارض التي تصيبها من تقخيم وترقيق، وأما فصل الكتابة، فقد تحدثنا فيه عن بدايات الكتابة العربية ومراحل تطورها حتى عصر التدوين الذي تشكلت فيه سمات الكتابة العربية كما هي اليوم، ثم عرضنا لرأي المحدثين فيها واقتراحاتهم لتيسيرها، وختمنا الفصل برأينا الشخصي مصحوباً باقتراح بسيط في كتابة الصوائت الطويلة، أما فصل الوظيفة، فقد تحدثنا فيه عن وظيفة الصوائت في تيسير النطق ووصل الكلام، والوظيفة الدلالية لعلامات الإعراب، ثم ختمنا بالوظيفة الإيقاعية للصوائت التي تتجلى في المدود في تلاوة القرآن، وفي إنشاد الشعر والغناء.

**الكلمات المفتاحية:** الصوائت، مخارج الصوائت، الكتابة العربية، الوظيفة، الدلالة.

## ÖZET

Bu çalışma Arap Dilinin seslerini çeşitli yönlerden ele alma çabasıdır. Öncekiler, Kelimenin asılları olması bakımından sessiz harflere ve kelimenin parçaları ve ona tabi olmaları açısından da sesli harflere önem verirken, yenilerin sesli harflere daha büyük bir önem verdiklerini görüyoruz. Ancak bu önem dilin sesleri alanında yapılan çalışmalarda birbirinden ayrı parçalar şeklinde ve sesli ile sessiz kısımları şeklinde olmuştur. Ya da seslerin akustik, fiziksel ve işitsel seviyede incelendiği çalışmalarda bulunmaktadır. Bu nedenle bu çalışmayı sadece sessiz seslerle sınırlı tutarak okunuş, yazılış ve fonksiyon olmak üzere üç bölümde ele aldık. Okunuş bölümünde bu seslerin çıkış yerleri(mahreç), sıfatları ve tefhîm ile terkîk durumunda maruz kaldıkları durumlar ele alınmıştır. Yazılış bölümünde ise Arap yazısının başlangıcı ve bu gün olduğu gibi Arap yazısının tekamül ettiği tedvîn dönemine kadar ki gelişim aşamaları incelenmiştir. Daha sonra yenilerin bu konudaki görüşleri ve onu kolaylaştırmaya yönelik önerilerine yer verdik ve bu bölümü kendi görüşümüzle beraber uzun seslerin yazılmasına yönelik basit önerilerle bitirdik. Fonksiyon bölümünde de konuşmanın kolaylaşmasında ve cümlenin bitişmesinde seslerin işlevleri ile i'rabın alametlerine delalet eden işlevine yer verdik. Daha sonra Kur'an-ı Kerim'in okunuşundaki uzatmalarda ve şiir ile şarkı söylenirken ortaya çıkan seslerin ritmik işlevi ile bu bölümü bitirdik.

**Anahtar Kelimeler:** Sesler, Seslerin çıkış yerleri(Mahreç), Arap Yazısı, Fonksiyon, Delalet.

## **Abstract**

This research is an attempt to encompass the Arabic vowels from different aspects. In light of the ancient interest in the consonants being the origin of speech, and the vowels are either their branches or suffixes, we find that the contemporaries have paid more attention to the vowels, but this interest came in the form of separate chapters within the study of the linguistic phoneme in both parts: vowel and consonant or within the study of sounds at their acoustic, physical, psychological and auditory levels. Here, this research is just concerned about vowels which are covered in three chapters: Pronunciation, writing and function. Chapter one titled Pronunciation deals with vowels and their place of articulation, their characteristics, and the symptoms that affect them such as the rules of lowering and elevating letters. Chapter two titled Writing highlights the beginnings of Arabic writing and its stages of development up to the age of codification in which the features of Arabic writing were formed as they are today. Moreover, this research presents the opinions of the scholars about it and their suggestions to facilitate it. The chapter concludes with the researcher's personal opinion accompanied by a simple suggestion in writing the long letters. Chapter three titled Function talks about the function of the voices in facilitating pronunciation and connecting speech, and the semantic function of the parsing signs. The chapter concludes with the rhythmic function of the sounds that is manifested in the rhythmic function of the Qur'an recitation, and in chanting poetry and singing.

**Key words:** vowels, place of articulation, the Arabic writing, the function, semantics.

## محتوى البحث

إهداء II

|      |                                 |
|------|---------------------------------|
| III  | شكر و عرفان                     |
| IV   | مقدمة                           |
| VIII | الملخص                          |
| IX   | ÖZET                            |
| X    | Abstract                        |
| XI   | محتوى البحث                     |
| XIV  | الاختصارات                      |
| 15   | 1- مدخل                         |
| 15   | 1-1- الصوتائ:                   |
| 17   | 1-2- الصوتائ العربية:           |
| 17   | 1-2-1- عِدَّتْها:               |
| 18   | 1-2-2- أقسامها:                 |
| 20   | 1-2-3- معايير التقسيم:          |
| 22   | 1-2-4- عناية علماء العربية بها: |
| 30   | 2- الصوتائ العربية: قضايا لفظية |
| 31   | 2-1- المخارج:                   |
| 31   | 2-1-1- في الدرس العربي القديم:  |
| 33   | 2-1-2- في الدرس العربي الحديث:  |
| 36   | 2-2- الصفات:                    |

- 36..... 2-2-1- في الدرس العربي القديم:
- 37..... 2-2-2- في الدرس العربي الحديث:
- 38 -3-2- العوارض:
- 38..... 2-3-1- التلوين (التفخيم، التزويق):
- 46 -4-2- نتائج الفصل الأول:
- 47..... 3- الصوائت العربية: قضايا كتابية
- 48 -1-3- التمثيل الكتابي للصوائت العربية في مرحلة البدايات.
- 54..... 3-1-1- رموز الصوائت:
- 56 -2-3- تطورات لاحقة في التمثيل الكتابي للصوائت العربية.
- 57..... 3-2-1- محاولة أبي الأسود الدؤلي:
- 58..... 3-2-2- محاولة الخليل بن أحمد الفراهيدي:
- 62 -3-3- آراء علماء اللغة المحدثين في التمثيل الكتابي الموروث للصوائت العربية واقتراحاتهم:
- 63..... 3-3-1- الآراء:
- 65..... 3-3-2- الاقتراحات.
- 67 -4-3- رأينا في التمثيل الكتابي الموروث للصوائت العربية وما نقترحه في سبيل تطويره:
- 67..... 3-4-1- الرأي.
- 69..... 3-4-2- الاقتراح.
- 70 -5-3- نتائج الفصل الثاني:
- 71..... 4- الصوائت العربية: قضايا وظيفية
- 72 -1-4- الوظيفة النطقية:

|         |                                    |
|---------|------------------------------------|
| 74      | 2-4- الوظيفة الدلالية:             |
| 75..... | 1-2-4- الدلالة:                    |
| 75..... | 2-2-4- الوظيفة الدلالية في النحو:  |
| 81..... | 3-2-4- الوظيفة الدلالية في الصرف:  |
| 82..... | 4-2-4- الوظيفة الدلالية في المعجم: |
| 82      | 3-4- الوظيفة الإيقاعية:            |
| 82..... | 1-3-4- في الشعر:                   |
| 85..... | 2-3-4- في القرآن الكريم:           |
| 90      | 4-4- نتائج الفصل الثالث            |
| 91..... | 5- الخاتمة.....                    |
| 94..... | ثبت المصادر والمراجع.....          |

## الاختصارات

ص: الصفحة.

تد: تحقيق.

تد: تدقيق.

ط: طبعة.

ج: جزء.

مج: مجلد.

تر: ترجمة.

م: ميلادي.

هـ: هجري.

ت: توفي.



## 1- مدخل

عرف اللغويون العرب الصوائت منذ زمن بعيد؛ حيث كانت تستخدم دون رمز يثبت وجودها، وكان القارئ يدركها من خلال فهمه للنص أو السياق، منذ أن كانت اللغة العربية في صورتها المنطوقة قبل المكتوبة.

يقوم بناء المفردة في اللغة العربية على الصوامت والصوائت، وتحمل الصوامت المعنى الأساسي للمفردة؛ أما الصوائت فتقوم بدور بناء لتغيير المعنى وتخصيصه على صيغ معينة، ولما كانت الصوامت والصوائت تؤلف جزأي البناء اللفظي للكلمة، ظهرت الحاجة إلى دراستهما دراسة تفصيلية. وبحثنا هذا يتناول أحد هذين الجانبين بشكل مفصل، ألا وهو الصوائت؛ ولذلك كان لا بدّ - قبل الخوض في صلب البحث - من الكلام على بعض المصطلحات الرئيسة فيه، والتي يتحتم علينا أولاً أن نفهمها فهماً كاملاً حتى يكون البحث واضحاً جلياً لا لبس فيه.

### 1-1- الصوائت:

الصوائت لغة: وهي من مادة (ص و ت)، والصوت: هو الأثر السمعي الذي تُحدثه تموجات ناشئة من اهتزاز جسم ما، كتعجب، أو توجع، أو تحسّر<sup>(1)</sup>.

والصَيِّتُ: هو شديد الصوت، صَيِّتُ الأصوات: الشديد منها<sup>(2)</sup>.

وإذا قلت صات أي: أحدث صوتاً<sup>(3)</sup>.

فالصوائت جمع صائت، والصائت معناه الصائح لغةً، عبّر عن هذا المعنى القدماء كالخليل في كتابه العين وغيره، إذ قال: صَوَّتَ فلان بفلان تصويئاً: أي دعاه، وصات بصوت صوتاً فهو صائت بمعنى صائح<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، ط1، دمشق، 2007م، ص 216.

<sup>2</sup> - ينظر: سليمان فياض، معجم السمع والمسموعات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2000م، ص 49.

<sup>3</sup> - ينظر: إلياس الحلبي، القاموس النادر دليل إلى مواضيع اللغة العربية ومعانيها في شتى المجالات، تد: جوزيف شهدا، ص 298.

<sup>4</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مرتباً على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، مادة [ص و ت]، ج2، ص 421.

أما اصطلاحاً، فالصوائت: "مصطلح بضع الجوامد أو الصوامت، فالألف والواو والياء تعدُّ صوائت، وأما غيرهن فصوامت أو جوامد، وقد استعمل المحدثون مصطلح الصوائت على أصوات المد(5).

وجاء في قاموس أكسفورد الشهير: " صوت الكلام (الصوت البشري) الذي يفتح فيه الفم حيث لا يمس اللسان الجزء العلوي من الفم أو الأسنان وما إلى ذلك، بحيث لا يقتصر تدفق الهواء"(6). إذن فالصوائت هي الأصوات التي يخرج فيها الهواء من جهاز الصوت دون أن يعترض مجراه عائقٌ، وهذا مطابق تقريباً لما نجده من تعريف عند علماء العربية القدامى، فابن جني (ت 392 هـ) يورد كلاماً مطوّلاً على الأصوات في بداية كتابه سر صناعة الإعراب إذ يقول: "اعلم أنّ الصوتَ عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطعٌ تشبه عن امتداده واستطالته.." (7). ثم يقول: " الحروف التي اتسعت مخرجها ثلاثة: الألف، تم الياء ثم الواو " (8). وبين هذين القولين يشرح ابن جني طريقة إنتاج أصوات الحروف، ويوضح أنّ الأصوات المدية تنتج من مرور الصوت في الفم دون عائق في الحلق أو الفم أو الأسنان.

وإذا ما قرأنا للغويّ العصر الحديث نجدهم يعرفون الصوائت تعريفاً مطابقاً في خلاصته لتعريف القدامى، غير أنهم يضعون اللمسة التفصيلية ويختلفون في تسميتها أحياناً، فنجد إبراهيم أنيس مثلاً يسميها حروف اللين، وهذه التسمية وردت كذلك عند القدامى، يقول: "لقد كان من نتائج تحليل المحدثين للأصوات اللغوية أن قسموها إلى قسمين رئيسيين\* سماوا الأول منهما consonants والثاني vowels، ويمكن تسمية القسم الأول بالأصوات الساكنة والثاني بأصوات اللين. وأساس هذا التقسيم عندهم هو الطبيعة الصوتية لكل من القسمين. فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين هو أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائلٌ تعترضه..." (9). ويسميها الدكتور أحمد

5 - رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، بغداد، 2007م، ص 114.

6 - <https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/vowel?q=vowel>

وهذا هو التعريف كما ورد باللغة الإنجليزية: " a speech sound in which the mouth is open and the tongue is not touching "the top of the mouth, the teeth, etc., so that the flow of air is not limited

7 - أبو الفتح عثمان، ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن هنداي، دار القلم، ط2، دمشق، 1993م، ج1، ص6.

8 - ابن جني، 1993م، ص8.

\* هكذا وردت في الكتاب والصحيح: "رئيسين" بياء واحدة.

قدور "الأصوات الصائتة"<sup>(10)</sup>، كما يسميها الدكتور كمال بشر "الحركات"<sup>(11)</sup>، والدكتور غانم قدوري الحمد "الذوائب أو الأصوات الذائبة"<sup>(12)</sup>.

تعددت التسميات وكلها تتفق في التعريف والحدود، فالصوائت والأصوات الصائتة والحركات وحروف اللين مسميات لشيء واحد مقابل لمصطلح vowels باللغة الإنجليزية.

## 1-2-2- الصوائت العربية:

لا تخلو لغة من اللغات من نظامها الصوتي الخاص بها، القائم على تقسيم أصواتها إلى صوائت وصوامت؛ والعربية كغيرها من اللغات لها نظامها الخاص، وقد بينا ذلك في الفقرة السابقة، فالصوائت أو الحركات أو حروف اللين في العربية حظيت بالدراسة منذ القدم على أنها لم تحظ بما حظيت به الصوامت من اهتمام.

### 1-2-1- عِدَّتْهَا:

الصوائت العربية بإجماع أهل العلم ستة، عند القدامى والمحدثين، على اختلاف تقسيمهم لها، وهي حروف المد والحركات، وذكرنا قول ابن جني عن الحروف التي اتسعت مخرجها وهي الألف والواو والياء، ثم يضيف: "علم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضممة"<sup>(13)</sup>، وبهذا تتم الصوائت العربية ستاً.

وللإنصاف والحياد يجب علينا التنويه بأن عدد صوائت العربية غير متفق عليه بشكل حاسم، فبالرغم من كثرة من يرونها ستاً؛ إلا أنه وجد من علماء العربية من لم يكن عددها واضحاً عنده، بل لربما لم يكن التقسيم إلى صوامت وصوائت ناضجاً عنده، نستطيع أن نلمح ذلك عند الأخفش، حيث يقول الدكتور كمال بشر في كتابه علم الأصوات: "فالأخفش مثلاً عند حديثه عن العلامات يقول: وللحروف علامات وضعت ليُسْتَدَلَّ بها، فللساكن "خا" يجعل فوقها، وللتثقيل سين فوقه وللمضموم غير المنون واو، وللمكسور خط من

<sup>9</sup> - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م، ص26.

<sup>10</sup> - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط3، دمشق، 2008م، ص90.

<sup>11</sup> - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص217.

<sup>12</sup> - غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، ط1، عمان، 2004م، ص135.

<sup>13</sup> - ابن جني، 1993م، ص17.

تحتة، وللمفتوح خط من فوقه، فإن كان شيء من ذلك منوناً جعلت له نقطتين<sup>14</sup>. يتضح من النص الذي أورده الدكتور بشر للأخفش أنه لم يعد الحركات الثلاث صوائت بل عدها مع السكون والشدة رموزاً تساعد على القراءة، وهذا إن صحَّ فهو اضطرابٌ بيّن.

وإذا ما انتقلنا لعلماء العربية في العصر الحديث، فإننا سنجد الغالبية العظمى منهم كذلك تعد ستة صوائت في اللغة العربية. يقول الدكتور كمال بشر: "سوف يتبين لك حينئذٍ أن الحركات الأساسية في اللغة العربية ثلاث أو ستّ إذا أخذت القصر والطول في الحسبان"<sup>15</sup>.

أما الدكتور أحمد قدور فإنه يرى الصوائت العربية ثلاثة فقط، فهو يقول: "ويختلف عدد الصوائت من لغة إلى أخرى اختلافاً قد يكون كبيراً. فعلى حين لا تضم العربية الفصحى سوى ثلاثة صوائت معترف بها تضم الإنكليزية والفرنسية ستة عشر صائتاً"<sup>16</sup>. ونحسب أن رأي الدكتور قدور ههنا ليس نابعاً من جهل أو خلط، بل سببه ما يراه جلُّ علماء العربية القدامى من أنّ الحركات الثلاث هي أبعاض حروف المد، أو هي أحرف مد صغيرة، والله أعلم.

#### 1-2-2-1- أقسامها:

يقوم النظام الصوتي لكل لغة على قواعد وأنظمة وقوانين واضحة، وضعت بشكل علمي لتكوّن حدوداً وتقسيمات هذا النظام، وعلماء العربية قد فرقوا بين الصوائت وقسموها على اعتبار الكم إلى قسمين، يقول أبو نصر الفارابي: "والحروف منها مصوّت ومنها غير مصوت، والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات"<sup>17</sup>.

#### 1-2-2-1- الصوائت القصيرة:

يقول جان كانتينو في حديثه عن العربية الفصحى: "ينحصر نظامها [الصوتي] في ثلاثة أجراس ويكون لكل جرس منها صورتان إما قصيرة أو طويلة، ولذا يمكن أن نصوره .... هكذا

<sup>14</sup> - بشر، 2000م، ص 422.

<sup>15</sup> - بشر، 2000م، ص 222.

<sup>16</sup> - قدور، 2008م، ص 135.

<sup>17</sup> - الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص 1072.



بهذا النظام الحركي الثلاثي احتفاظاً كلياً<sup>(21)</sup>. ويتابع كانتينو في كلامه على الصوائت الطويلة، فيقول: "جاء في نص هام للقارئ ذكره برافمان في مواد<sup>(22)</sup>... ص 13 ما يلي: الألف (أي الفتحة الطويلة) متكون من فتحتين والواو من ضمتين والياء من كسرتين"<sup>(23)</sup>. ويُفهم من هذا أن العرب القدامى قد أدركوا الفرق الكمي بين الحركات (الصوائت القصيرة) وحروف المد (الصوائت الطويلة).

وقد رتب ابن جني الصوائت العربية بدءاً بالأعمق فقال: "الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها ثم الضمة بعد الكسرة"<sup>(24)</sup>. وهذا حديث سنفصل فيه القول في الفصل الأول من هذا البحث إن شاء الله.

### 1-2-3- معايير التقسيم:

أدرك العلماء القدامى العلاقة بين الصوائت الطويلة (حروف المد) والصوائت القصيرة (الحركات) منذ البداية، فإذا ما رجعنا للقصة الشهيرة في وضع رموز الحركات على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) فسنجد أنه لما أدرك العلاقة الكمية بين حروف المد والحركات؛ جعل رمز الضمة واواً صغيرة، ورمز الفتحة نصف ألف، ورمز الكسرة نصف ياء، وذلك لأنهم كانوا مدركين أن الحركات أنصاف الحروف كما، رغم أنهم -في ذلك العصر- لم ينصوا على ذلك.

حتى جاء القرن الرابع، وفيه نجد ابن جني يفرد كتاباً كاملاً في أصوات العربية، والذي يعد حتى يومنا هذا المرجع الأول لكل دارس لهذا العلم، وقد كان ابن جني كأسلافه مدركاً للفرق الكمي بين حروف المد والحركات، إذ نص على ذلك في سر صناعة الإعراب، يقول: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون

21 - كانتينو، 1966م، ص 150

22 - المقصود هنا كتاب المستشرق الألماني ماكس برافمان المعنون مواد وبحوث في النظريات الصوتية عند العرب، لكننا لم نعثر على نسخة منه مترجمة للعربية.

23 - كانتينو، 1966م، ص 151.

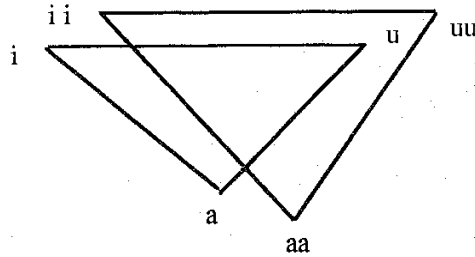
24 - ابن جني، 1993م، ص 30-53.

الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة»<sup>(25)</sup>.

أما في العصر الحديث ومع التطور العلمي الذي أفاد منه علم الأصوات، نجدهم يفصلون في الأمر، ويفرقون بين الصوائت قصيرها وطويلها في أمور أخرى بالإضافة إلى الكم، فنجد مثلاً الدكتور أحمد مختار عمر يجعل مقياس التفريق بينهما هو حركة اللسان، بالإضافة إلى الفونيمية، إذ تعد الصوائت القصيرة فونيمات مستقلة عن الطويلة، يقول مختار عمر: "أفردنا العلل الطويلة عن القصيرة واعتبرنا كلاً منها فونيمات مستقلة لما يأتي:

(أ) أن التقابل بين الحركة الطويلة والقصيرة قد يؤدي إلى تغيير المعنى أو الصيغة. ومعنى هذا أن كلاً منهما فونيم مستقل، بالإضافة إلى أن كلا من الطويل والقصير قد يقع موقع الآخر.

(ب) أن الدراسة التشريحية أثبتت أن الخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة ليس خلافاً في الكمية فقط، وإنما في الكيفية كذلك. فموقع اللسان مع إحدى العلتين المتقابلتين مختلف قليلاً، كما يتضح



من الرسم الآتي»<sup>(26)</sup>.

يتضح من النص الذي أوردناه أن الدكتور أحمد مختار عمر يوافق القدماء في تقسيمهم، وكذلك في سبب تقسيمهم القائم على الكم، إلا أنه يضيف من الأسباب ما هو ناتج عن علم لم يكن موجوداً في أيامهم، فالفرق في موقع اللسان بين نطق الفتحة ونطق الألف لا يمكن إدراكه بالتذوق المجرد؛ الذي كان الطريقة الوحيدة عند القدامى لإدراك مخارج الحروف، وإنما يحتاج إلى تقنيات خاصة ابتكرت حديثاً لهذا الغرض، أما العلة الأولى التي أتى بها الدكتور فكانت مدركةً بالتأكيد عند القدامى، ولو أن مصطلح الفونيم مصطلح حديث، إلا أن دلالاته كانت حاضرة في ذهن علماء العربية، فهم يدركون أن استبدال

25 - ابن جني، 1993م، ص 19.

26 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997م، ص 329، 330.

الفتحة الأولى في (كَتَبَ) بألف مد (فتحة طويلة)، سيغير صيغة الكلمة من الفعلية إلى الاسمية (من فعل ماض إلى اسم فاعل)، ويبدو أن ما منعهم من الإتيان بهذا الدليل، رسوخ فكرة أن حروف المد حروف تامة والحركات لواحق للحروف، هذا أولاً، وأما السبب الثاني الذي نقترحه، فهو عدم وجود استبدال من الأساس، فالفتحة عندهم ما تزال موجودة في (كاتب)، حتى أننا إلى يومنا هذا نرسم الفتحة على الكاف، وهذا في علم اللغة الحديث لبس واضح.

1-2-4-4- عناية علماء العربية بها:

قدم لغويونا منذ القدم إسهامات جلية في دراساتهم اللغوية، وسنفضل الحديث هنا عن عنايتهم بالصوائت، من قدامى وحدثين، كل على حدة.

1-2-4-1- في القديم:

عند الحديث عن الصوائت في التراث العربي، أول من يخطر في البال أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، الذي وضع أسس كتابة رموز الحركات، وذلك في القصة الشهيرة، عندما أتى برجل من عبد القيس انتقاه من بين ثلاثين رجلاً، وطلب منه أن يحمل القرآن وصباحاً مختلف اللون عن خط القرآن، ثم طلب منه أن يضع نقطة فوق الحرف في حالة الفتحة، ونقطة تحت الحرف في حالة الكسرة، ونقطة أمام الحرف في حالة الضمة<sup>(27)</sup>. ثم جاء بعده الخليل (ت 170 هـ) الذي عدل رموز الحركات إلى ما نعرفه اليوم؛ كي لا تختلط بنقط الحروف، وأضاف كذلك الشدة والهمز<sup>(28)</sup>. وقد قدم علماؤنا الكثير من الإنجازات القيمة في مجال الصوتيات، ولا تزال أعمالهم شاهدة إلى يومنا هذا، يشيد بها المحدثون ويفيدون منها، كونها تشكل حجر الأساس في الدراسات الصوتية الحديثة، إذ تتم عن عبقرية كبيرة لدى هؤلاء العلماء، رغم اعتمادهم على الذوق الخالص، دون أجهزة وبرمجيات حديثة، ونورد فيما يأتي بعضاً من أعلام هذا العلم وإنجازاتهم.

27 - ينظر: أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، دار الفكر، تح: عزة حسن، ط2، دمشق، 1997م، ص3-7.

28 - الداني، 1997م، ص7.

#### 1-1-4-2-1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: (ت 170 هـ):

هناك الكثير من مفردات علم الأصوات التي طرحها وأثار النقاش فيها الخليل بن أحمد، لتكون منطلقاً للدارسين من بعده، القديما منهم والمحدثين، فضلاً عن ابتكاره مصطلح الحركات، التي سهلت الدرس النحوي والصرفي والصوتي إلى اليوم، وفي ذلك يقول المخزومي: "إن الخليل أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية والصرفية والنحوية، ولذلك كان للدراسة الصوتية من عنايته نصيب كبير، فقد أعاد النظر في ترتيب الأصوات القديمة، الذي لم يكن مبنياً على أساس منطقي، ولا على أساس لغوي، فرتبها بحسب المخارج في الفم، وكان ذلك فتحاً جديداً، لأنه كان منطلقاً إلى معرفة خصائص الحروف وصفاتها"<sup>(29)</sup>. وقد توصل الخليل بذوقه الخالص ودون أية أجهزة أو أدوات قياس علمية إلى مخارج حروف العربية بدقة كبيرة، حتى تكاد النتائج التي توصل إليها تطابق إلى حد كبير النتائج التي توصل إليها علم الأصوات الحديث بتقنياته ومعداته ومختبراته، وما يعيننا في هذا البحث الصوائت، والتي خصها الخليل بما يأتي عند حديثه عن مخارج الحروف: "في العربية.... وأربعة أحرف جُوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"<sup>(30)</sup>.

#### 1-1-4-2-2- سيبويه: (ت 180 هـ)

يعد سيبويه المصدر الأول لأي دارس للعربية في شتى علومها، وهو الذي أخذ عن أستاذه الخليل مادة غزيرة برزت في كتابه، ولم يكن في أخذه عن الخليل ناقلاً وحسب؛ بل أضاف وشرح ووافق وعارض أستاذه في الكثير من القضايا، فكانت ملاحظاته عن أصوات المد جليلة، معتمداً على معيار تحكم جهاز النطق بالهواء الخارج من الفم، وقد قسم الأصوات اللغوية إلى تقسيماتها الشهيرة في وقتنا، الشديدة والرخوة، والمجهورة والمهموسة.

29 - مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، مصطفى البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1966م، ص 4.

30 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تد. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، 1980م، ج1، ص 57.

فقد أفرد في الكتاب بابًا للإدغام تحدث في بدايته عن الأصوات اللغوية، وأقسامها وصفاتها ومخارجها، مفصلاً في أصوات العربية، مجهورها ومهموسها، رخوها وشديدها<sup>(31)</sup>. وقد جعل الصوائت في قسمين: فأما الواو والياء فعدهما لينتين، وأما الألف فعدها هاوية، يقول: "ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأن مُخرجهما يتسع لهواء الصوت لأشد من اتساع غيرهما... ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مُخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قَبْل الحنك، وهي الألف"<sup>(32)</sup>، ثم يجمع هذه الحروف (الصوائت الطويلة) بمزية تميزها عن غيرها، وهي اتساع المخرج، فيقول: "وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف ثم الياء ثم الواو"<sup>(33)</sup>.

#### 1-2-4-1-3- قطرب: (ت 206 هـ)

هو محمد علي بن المستنير الشهير بقطرب، تتلمذ على سيبويه، ويقال إن أبا بشر هو من لقبه بقطرب، لكثرة سعيه وملاحظته العلماء<sup>(34)</sup>، صنف كتباً كثيرة في علوم العربية والقرآن، لكنَّ جُلَّ مؤلفاته لم تصل إلينا، وقد ذكر صاحب الفهرست كتاباً له يسمى (الأصوات)، إلا أنه غير موجود، إضافة إلى كتابه (الهمز)<sup>(35)</sup>.

ومن القليل الذي وصلنا لقطرب، كتابه الشهير: المثلاثات، أو مثلثات قطرب، وهو كتاب صغير، نظم فيه قطرب الألفاظ التي اشتركت في الصوامت واختلفت في الصوائت، وهذا التغيير في الحركات يؤدي إلى تغيير في المعنى، وقال عنه الدكتور محمد داود مفصلاً القول: "فالمثلث مجموعة تضم ثلاث مفردات تتفق في الصوامت عدداً وترتيباً، وتختلف في الحركات فيحصل بتغيير الحركة تغيير في المعنى. والكلمة المثلثة قد تكون اسماً؛ وقد يقع تغيير الحركة على الحرف الأول أو الثاني أو الثالث، ونادراً ما يقع في الحرف الرابع، وقد يقع تغيير الحركة في الحرف الأول والثاني معاً، أو في الحرف الأول والثالث

<sup>31</sup> - ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1982م، ج4، ص 431-436.

<sup>32</sup> - سيبويه، 1982م، 4/435.

<sup>33</sup> - سيبويه، 1982م، 4/436.

<sup>34</sup> - لترجمته الكاملة ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تد. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ج4، ص 312، رقم الترجمة: 635.

<sup>35</sup> - ابن النديم، الفهرست، تد. رضا تجدد، (دون ناشر أو تاريخ)، ص58.

معاً، وقد تكون الكلمة المثلثة فعلاً؛ فيقع تغير الحركة في الأعم الأغلب في عين الفعل، وقد ينتقل تغير الحركة إلى فاء الفعل في حالة الفعل المضعف والأجوف<sup>(36)</sup>، وهذا مثال للمثلثات كما جاءت في كتاب قطرب:

**إِنَّ دَمَوْعِي نَمْرٌ      وَلَيْسَ عِنْدِي فَمْرٌ**  
**يَا أَيُّهَا ذَا الْغُمْرِ      أَقْصِرْ عَنِ التَّعَبِ**

فالغمر هو الماء الكثير، والغمر هو الحقد، والغمر هو الجاهل وقليل التجربة<sup>(37)</sup>. وقد قام الكثيرون بشرح مثلثات قطرب نظماً، إلا أن الشرح الموجود بين أيدينا لإبراهيم مقلاتي يفتقر إلى التشكيل، وهو أساس تأليف هذا الكتاب.

إن قطرب اهتم بأثر اختلاف الصوائت على المعنى وهذا مبحث جليل كان السباق إليه بفطنته وعبقريته، وقد كان عمله هذا منطلقاً لأعمال مشابهة فيما بعد.

1-2-4-1-4- الفارابي: (ت 339 هـ)

إذا كان علماء العربية الأوائل قد اهتموا لأمر الصوائت، فهذا غير مستغرب عليهم؛ لأن علم الأصوات فرع هام ومتصل بعلوم العربية الأخرى، من نحو وصرف ومعجم، ولكن التقدم الذي شهدته الحضارة الإسلامية زمن دولة بني العباس أدى إلى ظهور العلماء الموسوعيين، الذين برعوا بعلوم شتى، من هؤلاء أبي نصر الفارابي، الموسيقي والفيلسوف الشهير، الذي ألف في الفلسفة والمنطق والموسيقى، وابتكر آلة القانون<sup>(38)</sup>، وانطلاقاً من كونه موسيقياً صنف كتابين في الموسيقى هما صناعة علم الموسيقى والموسيقى الكبير، وكعادة أهل زمانه، تناول الفارابي الموسيقى من جوانبها كافة، فتكلم على الأصوات اللغوية، كونها العنصر الأول للموسيقى والإنشاد، وقد أشار الدكتور حسام سعيد النعيمي لأهمية عمل الفارابي في الأصوات فقال: "تمكن من خلال ذلك أن يقدم للقارئ دراسة صوتية نفسية تتعلق بالمقطع الصوتي في العربية، والمصوتات الطويلة والقصيرة والعلاقة بينهما، وإسقاط التصور القائل بوجود حركة

<sup>36</sup> - محمد محمد داود، الصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001 م، ص 27.

<sup>37</sup> - ينظر: إبراهيم مقلاتي، شرح مثلثات قطرب، (دون ناشر أو تاريخ)، ص 12، 13.

<sup>38</sup> - لترجمته كاملة ينظر: ابن خلكان، 1978م، ج 5، ص 153، رقم الترجمة 706.

قبل حرف المد من جنسه، والكلام فيما يمكن أن يعد بدايات حسنة لما يسمى اليوم بنظرية "الفونيم"، وكأننا فيما ننظر في دراسة علمية حديثة وليس في شيء كتب قبل أكثر من ألف عام<sup>(39)</sup>.

وقد فرق الفارابي بين الصوامت والصوائت، وفرق كذلك بين نوعي الصوائت، يقول: "ومن فصول الأصوات الفصول التي بها تصوير الأصوات حروفاً. والحروف منها مصوت ومنها غير مصوت. والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات"<sup>(40)</sup>.

#### 1-2-4-1-5- ابن جني: (ت 392 هـ)

أشرنا في غير موضع من هذا البحث إلى الدور الكبير الذي لعبه ابن جني في الدرس الصوتي العربي، فهو أول من صنف كتاباً متخصصاً في الأصوات اللغوية، فيما وصلنا، ألا وهو كتابه سر صناعة الإعراب، إضافة إلى جهوده الصوتية في كتابه الخصائص، وقد ذكرنا سابقاً أن ابن جني قد فرق بين الصوامت والصوائت، ووصف الصوائت وصفاً دقيقاً، إذ يؤكد دائماً على اتساع مخرج حروف المد، "والحروف التي اتسع مخرجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال"<sup>(41)</sup>، وسوف نكتفي بهذا في ذكر جهود ابن جني في الصوائت كي لا نقع في تكرار ما ذكرناه في غير موضع من هذا البحث من جهود ابن جني الكبيرة في هذا العلم.

#### 1-2-4-1-6- ابن سينا: (427 هـ)

لم يقتصر البحث في علم الأصوات على اللغويين والموسيقيين في تراثنا، بل تعداه إلى الفلاسفة، ومن هؤلاء أبو علي ابن سينا، الذي بحث في الأصوات وآلية إنتاج الصوت البشري، فقد فرق ابن سينا بين الصوائت والصوامت، وهو يستخدم مصطلحاً من ابتكاره لا يزال مستخدماً إلى يومنا هذا، فهو يسمي حروف المد (المصوتات)، يقول: "وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق

39 - حسام سعيد النعيمي، أبحاث في أصوات العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط1، بغداد، 1998م، ص86.

40 - الفارابي، (دون تاريخ)، ص 1072.

41 - ابن جني، 1993م، ص 8.

الهواء سلساً غير مزاحم....<sup>(42)</sup>، فهو يذكر مخارج الصوائت أو المصوتات كما أسماها، كما فرق ابن سينا بين الواو والياء المديتين واللينتين، إذ يسمي الأوليين الواو المصوتة والياء المصوتة، ويسمي الأخيرين الواو الصامتة والياء الصامتة<sup>(43)</sup>، وأخيراً نلاحظ عنده قياس المدة الزمنية لكل من الصوائت القصيرة والطويلة، فهو يقرر أن الصائت الطويل يعادل صائتين قصيرين تماماً، وهذا ما يقره علم الأصوات الحديث، يقول: "ولكني أعلم يقيناً أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة... وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، والياء المصوتة إلى الكسرة"<sup>(44)</sup>.

لقد أبدى علماؤنا القدامى عناية واضحة بالصوائت، لكنّ عنايتهم تلك تركزت بشكل كبير على الصوائت الطويلة دون القصيرة، لأنهم اعتقدوا القصيرة عوارض تصيب الحروف، ولا ترقى لمرتبة البحث فيها، وقد شكل علم الأصوات بمجمله حالة نادرة في تراثنا الحضاري، فالباحثون فيه كانوا إما من اللغويين والنحاة؛ لعلاقته بعلوم العربية، وإما من الموسيقيين؛ كون الصوت في الأساس وحدة موسيقية، وإما من الأطباء الذين درسوا عملية إنتاج الصوت اللغوي، وبمقاربة بسيطة نجد أن هذه الاتجاهات الثلاثة هي هي اتجاهات الدرس الصوتي الحديث.

#### 1-2-4-2- في الدرس الحديث:

تعد الأصوات أو الدراسة الصوتية فرعاً من فروع علم اللغة النظري، الذي يقسم الدراسة إلى مستويات أربعة، تبدأ بأصغر وحدة وهي الأصوات (Phonology)، ثم مستوى الكلمة الواحدة أو الصرف (Morphology)، ثم مستوى التركيب أو الجملة أو النحو (Syntax)، ثم مستوى الدلالة (Semantics)، فدراسة الصوت اللغوي هي المنطلق في علم اللغة الحديث، ومن هنا جاء الاهتمام بأصوات العربية عند علمائنا المحدثين، وعلى الرغم من أخذهم هذه التقسيمات من الغرب، إلا أنهم نهلوا من التراث اللغوي الكبير الذي تكلمنا عليه في المبحث السابق، فترى علماءنا جميعاً ينطلقون في دراساتهم الصوتية من ملاحظات قدامى النحاة ونخص بالذكر هنا الخليل وسيبويه وابن جني، فقد راح

<sup>42</sup> - ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح. محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط1، دمشق، 1982م،

ص84.

<sup>43</sup> - ابن سينا، 1982م، ص 84.

<sup>44</sup> - ابن سينا، 1982م، ص 85.

لغويونا المحدثون يتناولون التراث اللغوي بلغة علمية نقدية، يؤكدون على بعضه ويصححون بعضه الآخر وفق مقتضيات العلوم الحديثة.

ومن أوائل العلماء العرب الذين كتبوا في علم الأصوات الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية، الذي يعد الأول من نوعه في العصر الحديث، والحديث ههنا عن علمائنا العرب، فقد كانت للمستشرقين أيضاً جهودٌ غير قليلة في هذا العلم، فإبراهيم أنيس يصرح في مقدمة كتابه أنه الأول في هذا المضمار، إذ يقول: "وكتابي هذا وإن كان الأول من نوعه في اللغة العربية، لا أدعي له الكمال في كل نواحيه، وإنما أعده مجهوداً متواضعاً أبغي به نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية"<sup>(45)</sup>، وقد خصص أنيس الفصل الثالث من كتابه للحديث عن الصوائت، أو أصوات اللين كما يسميها، تكلم فيه على مقاييسها بشكل عام ثم خصص الكلام على صوائت العربية وأشباه الصوائت.

وقد تكلم أنيس على أهمية الصوائت وصعوبة نطقها، ذاكراً الأسباب، ثم أفضى إلى الكلام على الصوائت المعيارية التي وضعها العالم اللغوي دانيال جونز<sup>(46)</sup>، ويعد بهذا العمل من أوائل المشتغلين بترجمة مبادئ علم الأصوات إلى العربية.

وفي حديثه عن الصوائت العربية، يذكر رأي القدماء، وخصوصاً ابن جني، ثم يؤكد رأيه في أن الفرق بين الصوائت القصيرة والطويلة هو كمية الصوت فقط، أما المخرج فواحد. ثم يتحدث على المقياس الذي يتعامل معه، ألا وهو نطق قراء القرآن المصريين، لأنه الوسيلة الوحيدة في معرفة نطق الصوائت العربية، نظراً لاختلاف الصوائت في اللهجات العربية المستخدمة اليوم<sup>(47)</sup>.

ويعرض إبراهيم أنيس لقضية هامة، يخالف فيها القدامى، ويسير على نهج علم اللغة الحديث فيها، وهي اعتقاد القدماء بوجود حركات قصيرة قبل حروف المد، يقول: "ولكن القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد... والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في (كتاب) محركة بألف المد وحدها"<sup>(48)</sup>.

45 - أنيس، 1975م، ص 5.

46 - ينظر: أنيس، 1975م، ص 29-36.

47 - أنيس، 1975م، ص 37-39.

48 - أنيس، 1975م، ص 39.

ورغم أن كلام أنيس صحيح هنا، إلا أن كلام القدامى كذلك يتماشى مع منطقتهم المتبع؛ فالحركات وإن كانت حروفاً صغيرة، إلا أنها عوارض تصيب الحرف -برأيهم- ومن هنا وجب التفريق بينها وبين أحرف المد التي تعد حروفاً تامة، وعليه فكل حرف غير ساكن يجب أن يحمل حركة قصيرة.

وبالانتقال إلى عالم آخر من أعلام اللغة العربية في العصر الحديث، ألا وهو الدكتور كمال بشر الذي تأثر بعلم اللغة الغربي وحاول أن يطبقه على اللغة العربية من خلال اطلاعه على أعمال علماء اللغة الغربيين ومقارنته مع التراث اللغوي العربي.

قدم الدكتور كمال بشر العديد من الأبحاث والكتب في علم اللغة العام ولكن جل أعماله تتمحور حول علم الأصوات العام، ثم علم أصوات اللغة العربية، ونخص بالذكر كتابيه دراسات في علم اللغة، وعلم الاصوات فقد خصص هذين الكتابين للدراسات الصوتية وفق المناهج الحديثة، وبلغه نقدية لتراثنا اللغوي، بغية الانطلاق من ذلك التراث، وفيما يخص موضوع بحثنا (الصوائت) يخصص كمال بشر حيزاً لا بأس به من كتابيه سابق الذكر للحديث عن الصوائت، ففي كتابه دراسات في علم اللغة تحدث كمال بشر في نصف مقالات الكتاب عن أمور صوتية في اللغة العربية، وقد بدأه بفصل حول حروف المد ومشاكلها في الدراسات العربية القديمة، فقد تم الخلط -حسب الكتاب- في دراستها بين المستوى الصوتي والنحوي والصرفي، يقول: "فعلماء العربية، في دراسة (واي) قد خلطوا أحياناً بين الصوت والرمز الكتابي، كما خلطوا من وقت إلى آخر بين قيمتها الصوتية ووظائفها الصرفية والنحوية"<sup>(49)</sup>.

---

49 - كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، 1998م، ص 16.



## 2- الصوائت العربية: قضايا لفظية

## 2-1-1 - المخارج:

لمخارج الحروف أهمية بالغة في إيضاح نقاط الوصل والاختلاف بين بعضها البعض، الأمر الذي نجد أثره في عدد غير قليل من الأبحاث اللغوية، كالإدغام مثلاً، وهناك اختلاف بين تناول القدامى لموضوع المخارج وتناول المحدثين، فالقدامى اعتمدوا الذوق الخالص لمعرفة مخارج الحروف، في الوقت الذي اعتمد فيه المحدثون على أجهزة دقيقة لتحديد هذه المخارج.

### 2-1-1-1 - في الدرس العربي القديم:

لعل أول ما شغل اللغويين العرب في الحروف العربية، مسألة المخارج، فبدءاً من الخليل بن أحمد الفراهيدي نكاد لا نقع على مصنف لغوي أو نحوي أو صرفي، إلا وقد تطرق صاحبه لمسألة مخارج الحروف عموماً.

فإذا ما عدنا إلى أول معجم عربي للخليل، معجم العين، سنجده يرفض ترتيب الحروف على الطريقة الأبجدية (أ، ب، ج، د...) أو الأبتئية (أ، ب، ت، ث..)، ويقدم بدلاً من ذلك ترتيباً آخر بحسب مخارج الحروف، بادئاً بالأعمق، "فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التآليف من أول ا، ب، ت، ث، وهو الألف، لأن الألف حرف معتل فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني -وهو الباء- إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق"<sup>(50)</sup>. فأن يكون أول معجم عربية مرتب بحسب مخارج الحروف فهذا يدل دلالة كبيرة على اهتمام القدامى بالمخارج، كما يتضح من المقتبس السابق، أن آلية معرفة المخارج كانت الذوق فقط، وهذا ما يفسر بعض الاختلاف في المخارج بين القدامى والمحدثين، الذين اعتمدوا آليات علمية كالتصوير المقطعي وأجهزة التسجيل.

أما فيما يخص مخارج الصوائت فيقول الخليل: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانته فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"<sup>(51)</sup>، فحروف المد عند الخليل -وكذلك الحركات لأنها أبعاض حروف المد- حروف جوف، لأنها تخرج من الجوف دون

50 - الفراهيدي، 2003م، 1/47.

51 - الفراهيدي، 2003م، 1/52.

عائق في الفم أو اللسان أو الشفاه، "أربعة أحرفٍ جُوفٍ وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفًا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجةٍ من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"<sup>(52)</sup>. ورأي الخليل في ذلك غير مقبول في علم الأصوات الحديث، فإن كانت الألف والياء والواو تخرج كلها من الجوف، فلماذا تختلف أصواتها، وهذا -على ما يبدو- ما تنبه له تلميذ الخليل سيوييه، الذي خالف أستاذه في مخارج حروف العربية، فجعلها ستة عشر مخرجًا، فالألف عند سيوييه من أقصى الحلق، والياء تخرج من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى، وأما الواو فمخرجها بين الشفتين<sup>(53)</sup>، وربما قصد سيوييه هنا مخرج الياء والواو الصامتتين غير المديتين، لأنّ الياء والواو المديتين وإن تدخل اللسان والشفتان بنطقهما، غير أن ذلك لا يعني أنهما يخرجان من وسط الحنك والشفتين، وهذا تمامًا ما وقف عنده ابن جني الذي فصل القول في مخارج هذه الحروف، فهو الأول -فيما وصل إلينا من الكتب- الذي أفرد مصنفًا متخصصًا في أصوات العربية، وذلك قد أعطى ابن جني حرية الحديث والتفصيل في قضايا الصوت والمخارج، وقد ذكرنا في غير موضع من هذا البحث كلام ابن جني على الصوائت، فقد ربط بين الصوائت الطويلة والقصيرة، وجعل الفرق بينها بالكمية فقط، كما اتفق مع رأي من سبقوه في أن مخرج هذه الأصوات الثلاثة هو الجوف، دون حاجز في الفم أو الشفتين<sup>(54)</sup>، لكنه وضح علة عدم تشابهها، رغم خروجها من الجوف دون حاجز أو احتكاك، فهو يشرح الكيفية التي تسبب هذه الأصوات دون وجود احتكاك أو حيز للهواء، "والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر"<sup>(55)</sup>، وهذا هو مخرج الألف والفتحة، حيث يخرج الصوت من الجوف مسترسلًا لا يتعرض لضغط أو حصر في أية مدرجة من مدارج اللسان أو الحنك أو الشفتين، ثم يكمل: "وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلاً وعلوًا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعدًا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال"<sup>(56)</sup>، فالياء عنده تخرج بضم اللسان بين الأسنان

52 - الفراهيدي، 2003م، 1/57.

53 - ينظر: سيوييه، 1982م، 4/433.

54 - ينظر: ابن جني، 1993م، ص 8.

55 - ابن جني، 1993م، ص 8.

56 - ابن جني، 1993م، ص 8.

وارتفاعه تجاه الحنك مع السماح للهواء بالمرور دون صفير، ولو ازداد ضغط اللسان قليلاً لتحول الصوت إلى الياء الساكنة أو الجيم. وأما الواو فيقول في الحديث عن مخرجها: "وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت"<sup>(57)</sup>.

ويعتقد د. عبد الغفار هلال أن هذا الوصف دقيق على إرهاب حس وسلامة طبع بحيث حدد الشكل العام لمخارج تلك الأصوات من اللسان والحلق، والفم والشفة وأوضاع تلك الأعضاء حال النطق بهذه الأصوات بما فتح الطريق أمام المحدثين ليحددوا مخارجها بالآلات الحديثة بارتفاع أو انخفاض مقدم اللسان أو مؤخره في الفم، وتقسيمهم لها إلى أصوات لين ضيقة، ومتسعة وأمامية، وخلفية وغيرها<sup>(58)</sup>.

وفيما عدا هذا التطور في ذكر المخارج من الخليل إلى سيبويه إلى ابن جني؛ نكاد لا نقع على جديد يذكر عند باقي علماء العربية القدامى، فإنك لا تجد مصنفاً في النحو العام إلا وقد ذكر صاحبه مخارج الحروف العربية على الترتيب، وذلك غالباً ما يكون في باب الإدغام، غير أننا لم نجد جديداً في ذلك، فكل من ذكر المخارج من العلماء القدامى، قد كرر رأي سيبويه أو ابن جني<sup>(59)</sup>.

## 2-1-2- في درس العربي الحديث:

يحدث الصوت الإنساني نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين بضغط من الحجاب الحاجز أثناء عملية الزفير، فيمر بالحلق والفم إلى الشفتين، وفي هذه الطريق تقع على الهواء الخارج معالجات عديدة تحيله إلى صوت بشري مسموع، ويختلف الصوت الناتج باختلاف مكان وشدة التأثير الواقع على الهواء الخارج، ومن هنا جاء اختلاف مخارج الحروف.

فإذا كان التأثير الواقع على الزفير بتضييق مجراه أو بخلقه تنتج الأصوات الصامتة، وإذا كان التضييق لا يُنتج احتكاكاً تنتج الأصوات الصائتة<sup>(60)</sup>، وذلك بأن يبقى الهواء حراً في خروجه من الفم دون مانع أو عائق.

57 - ابن جني، 1993م، ص 8.

58 - عبد الغفار هلال، أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة، ط 1، 1996م، ص 93.

59 - ينظر: أبو القاسم الزمخشري، المفصل في علم العربية، تد. فخر صالح قدارة، دار عمار، ط1، عمان، 2004م، ص 419، 420، وأبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تد. د. محمد راضي محمد مذكور ووائل محمود سعد عبد الباري، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار 95، 2015م، ص 284، 285.

60 - إبراهيم انيس، 1975م، ص 26، عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط2، القاهرة، 1968م، ص 156، 157. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1985م، ص 28.

ويقول كانتينو: "خاصية الحركة أن لا يقوم حاجز في جهاز التصويت فيجري النفس حراً طليقاً"<sup>61</sup>. إذن فعلماء اللغة المحدثون يتفقون مع القدامى في أن الصوائت جميعها تتصف باتساع مجرى الهواء، فلا حاجز يمنعه ولا تضيق فيه لدرجة إنتاج حفيف، وما دام الأمر هكذا فلماذا لا تكون الصوائت كلها صوتاً واحداً، ومن أين جاء هذا التنوع الكبير في الصوائت؟ ونحن هنا لا نقصد العربية منها فحسب.

"اشتراط جونز في تعريف الحركة أن تكون مجهورة، وسبب هذا الشرط أن الحركة صوت لا تتدخل عند النطق به أعضاء النطق العليا على الإطلاق، أو تتدخل تدخلاً لا يحدث احتكاكاً مسموعاً، وعلى هذا فلولا الجهر الذي هو تدخل الأوتار الصوتية لمرّ الهواء من الرئتين إلى الخارج دون تدخل يذكر، تماماً كما يحدث الزفير"<sup>62</sup>.

ولكون الصوائت جميعها أصوات مجهورة لا تتعرض لسد أو تضيق في جهاز النطق العلوي وضع دانييل جونز الصوائت المعيارية، والتي يعود إليها كل دارس للصوائت في مختلف اللغات، وقد قسم الصوائت بحسب درجة ارتفاع اللسان ومكان هذا الارتفاع من الفم عند النطق بالصوت، بدءاً بالأعلى الذي لو ارتفع معه اللسان قليلاً لنتج صوت ساكن، مروراً بالأدنى فالأدنى، وقد طبق علماء اللغة العرب هذه المعايير على الأصوات العربية فلاحظوا ما يأتي:

1- الكسرة والياء: يقول إبراهيم أنيس: "أقصى ما يصل إليه أول اللسان نحو الحنك الأعلى بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أي نوع من الحفيف، يعد موضعاً مضبوطاً بين أصوات اللين وقد رمز له بالرمز (i) وهو ما يشبه الكسرة الرقيقة في اللغة العربية حين يكون قصيراً، ويشبه ما يسمى بياء المد حين يكون طويلاً"<sup>63</sup>.

والملاحظ كذلك أن الشفتين كذلك تشتركان في إنتاج الصوائت وذلك بانفراجهما أو استدارتهما، ففي الكسرة تتراجع الشفتان إلى الخلف كما في وضع التبسم، ويخرج الهواء من الفم وحده أما مجرى

<sup>61</sup> - كانتينو، 1966م، 20.

<sup>62</sup> - عبد الرحمن أيوب، 1968م، ص 176.

<sup>63</sup> - إبراهيم أنيس، 1975م، ص 31.

الأنف فيكون مسدوداً، ولهذا قيل في الكسرة، والكلام ينطبق على ياء المد: "إنها طليق أمامي (لأنها تحدث عن تكتل اللسان في المنطقة الأمامية من الفم) منكسر (لأن الشفتين معها في وضع منكسر متراجع إلى الخلف) حاد (لأن الفرجة معها أضيق ما تكون، وارتفاع المقدم اللسان أكبر ما يكون)"<sup>64</sup>.

2- الفتحة والألف: يقول إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية: "وتكون المقياس الثاني بأن هبط اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم، بحيث يستوي في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك"<sup>(65)</sup>، وهذا المقياس يقابل في العربية الفتحة إذا كان قصيراً، والألف إذا كان طويلاً، فالفتحة والألف أوسع الحروف مخرجاً لانبساط اللسان في قاع الفم.

والفتحة والألف تأتيان على صورتين، مفخمة ومرققة، وسنأتي على تفصيلهما في هذا البحث، فإذا جاءت بعد صامت مستقل كانت مرققة، وفيها تتراجع الشفتان تراجعاً طفيفاً، وإذا جاءت بعد صامت مستعلٍ كانت مفخمة، ولم تتراجع الشفتان معها بل تأخذان وضع الحياد<sup>(66)</sup>.

3- الضمة والواو المدية: "اتخذ علماء الأصوات المحدثون ثلاث مراحل أخرى تلي الصوت (a)، ناظرين في هذه المرة إلى نسبة صعود أقصى اللسان نحو الحنك. فأخر ما يصل إليه أقصى اللسان في صعوده نحو أقصى الحنك، ليكون الفراغ بينها من السعة، بحيث لا يحدث الهواء أي نوع من الحفيف، هو المقياس الأخير لأصوات اللين، وهو ما يرمز إليه بالرمز (u)، وهو الذي يشبه الضمة المرققة في اللغة العربية حين يكون قصيراً، ويشبه ما يسمى بواو المد حين يكون طويلاً"<sup>(67)</sup>.

"ووضع الشفتين مع الضمة وضع استدارة كاملة، مع بقاء فرجة بينهما تسمح بمرور الهواء مروراً حرّاً طليقاً لا يؤدي إلى احتكاك بالشفتين"<sup>68</sup>.

إذن، فالصوائت العربية تنتج من اهتزاز الوترين الصوتيين أثناء مرور الهواء دون عائق يحدث احتكاكاً أو سدّاً مع اختلاف موضع اللسان والشفتين على ألا تُحدث هذه المواضع سدّاً أو احتكاكاً.

64 - محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، ط3، بيروت، (دون تاريخ)، ج1، ص 35.

65 - أنيس، 1975م، ص 32.

66 - الأنطاكي، (دون تاريخ)، ج1، ص 38.

67 - أنيس، 1975م، ص 32، 33.

68 - الأنطاكي، (دون تاريخ)، ج1، ص 36.

## 2-2- الصفات:

لكل صوت لغوي صفاته التي تميزه عن غيره، وصفات الحروف منها ما له ضد كالجهر والهمس المتضادين، ومنها ما ليس له ضد كصفة الثقلة على سبيل المثال، وفي هذا المبحث سننظر في صفات الصوائت عند القدامى والمحدثين، كل على حدة.

### 2-2-1- في الدرس العربي القديم:

نظراً للغموض الذي اكتنف الصوائت قديماً، فإننا لا نجد التفاصيل الوافية عنها في مصنفاتهم، فالخليل في معجمه العين يقول في ذكره لمخارج الحروف العربية: "وأربعة جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف .... إنما هي هاوية في الهواء"<sup>(69)</sup>، فهو يكتفي بحديثه عنها بوصفها بالحروف الجوف أو الهوائية، أما إذا انتقلنا إلى تلميذه سيبويه فإننا سنجدّه يزيد في التفصيل دون الإحاطة بجوانب الموضوع كلها، فيذكر سيبويه مخارج الحروف العربية ثم يفصل في ذلك بعض الصفات التي تتمتع بها الأصوات، من حيث الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، فيذكر أن الألف والواو والياء من الأصوات المجهورة<sup>(70)</sup>، ثم يشرح معنى الجهر والهمس، فيقول: "قالالمجهورة: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت..... فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد"<sup>(71)</sup>، وقد شرح الدكتور تمام حسان عبارة سيبويه في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها<sup>(72)</sup>، ونستطيع تلخيص هذا الشرح بما يأتي: يقصد سيبويه بالإشباع التقوية، وبالاعتماد الضغط، واستخدام سيبويه لكلمة "موضعه" تدل على أنه لم يقصد المخرج، فموضع الضغط على مخرج أي صوت يكون من الحجاب الحاجز، وبهذا يكون تعريف المجهور: حرف ضغط فيه الحجاب الحاجز بقوة على مخرج الصوت (الحبال الصوتية)، والعلة في غموض تعريف سيبويه أنه لم يكن يملك تشريحاً لجهاز الصوت في زمنه كما نمتلك الآن، أما ابن جني الذي يعد أول من اعتنى بالأصوات عناية خاصة فأفرد لها كتابه سر صناعة الإعراب، وفيه يذكر مخارج الحروف بشيء من التفصيل، ثم يتكلم على كل حرف على حدة، إلا أنه يجعل الكلام جله على الناحية الصرفية ثم النحوية، مغفلاً الناحية الصوتية، ففي باب الواو

69 - الفراهيدي، كتاب العين، تد مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دون تاريخ ودار نشر) ج1، ص 57.

70 - ينظر: سيبويه، 1982م، ج4، ص 434.

71 - سيبويه، 1982م، 4/ 434.

72 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994م، ص 60-62.

يقول: "اعلم أن الواو حرف مجهور"<sup>(73)</sup>، والكلام نفسه ينطبق على الياء، ثم يعدل عن الحديث الصوتي إلى الصرف والنحو.

2-2-2 - في الدرس العربي الحديث:

يكاد لا يخلو مصنف حديث في علم اللغة العام من باب أو أكثر في الصوتيات، ونستطيع أن نجمل الصفات التي أوردها المحدثون في مصنفاتهم بما يأتي:

1- من الصفات التي تمتاز بها الصوائت العربية الستة، صفة الجهر، فهي أصوات مجهورة بالضرورة، وقد نص على ذلك القدامى، وأيدهم المحدثون، حتى أن دانيال جونز، واضع الصوائت المعيارية، يجعل الجهر شرطاً رئيساً لكون الصوت المعني صائتاً أو صامت، والعلة في ذلك أن الهواء مع الصوائت يخرج حرّاً طليفاً دون سد أو احتكاك، فإذا غابت صفة الجهر عنه أصبح زفيراً عادياً وليس صوتاً بشرياً مسموعاً<sup>(74)</sup>. على أن الدكتور عبد الرحمن أيوب ينفي كلام جونز ويقول بوجود فتحة مهموسة في اللهجة المصرية الحديثة، وهذا - وإن صحَّ - لا يعدو كونه ظاهرة لهجية غير موجودة في العربية الفصيحة.

2- الصوائت العربية جميعها أصوات يُسَدُّ معها التجويف الأنفي، فهي أصوات غير غنَاء<sup>(75)</sup>.

3- ومن الصفات التي اهتم بها اللغويون المحدثون، ما يخص حركة الشفتين أثناء النطق بالصوائت، فمع الألف والفتحة تكون الشفتان مفتوحتان طويلاً وعرضاً في وضع حيادي، أما مع الواو والضمة فتكونان منضمتين على شكل دائري على ألا يحدثا احتكاكاً، وأما مع الياء والكسرة، فتكونان منكسرتين إلى الخلف كوضع الابتسام، وعلى هذا وصف محمد الأنطاكي الواو والضمة بالمنضمة والياء والكسرة بالمنكسرة<sup>(76)</sup>.

4- صفة أخرى وصفت بها الصوائت العربية، تخص الفتحة التي يحدثها اللسان مع سقف الحنك، فالألف منفرجة، لاتساع ما بين اللسان وسقف الحنك إلى أقصى درجة، والواو حادة لأن الفرجة معها أضيق

<sup>73</sup> - ابن جني، 1993م، 573.

<sup>74</sup> - عبد الرحمن أيوب، 1968م، ص 176.

<sup>75</sup> - الأنطاكي، (دون تاريخ)، ج1، ص 34-38. أيوب، 1968م، ص 158.

<sup>76</sup> - الأنطاكي، (دون تاريخ)، 1/ 34-38.

ما تكون وارتفاع مؤخر اللسان أكبر ما يكون، والياء حادة كذلك، ولكن الارتفاع يكون في مقدم اللسان<sup>(77)</sup>.

وبتلخيص ما ذكرناه سابقاً نستطيع أن نضع صفات الصوائت العربية كما ذكرها المحدثون في الجدول الآتي:

| الألف / الفتحة | الواو / الضمة | الياء / الكسرة |
|----------------|---------------|----------------|
| طليق           | طليق          | طليق           |
| مجهور          | مجهور         | مجهور          |
| خلفي           | خلفي          | أمامي          |
| منفرج          | منضم          | منكسر          |
|                | حاد           | حاد            |
| غير أغنّ       | غير أغنّ      | غير أغنّ       |
| طويل/ قصير     | طويل/ قصير    | طويل/ قصير     |

### 2-3- العوارض:

ترتب على طبيعة الصوائت من اتساع مخرجها وتدخّل جميع أعضاء النطق في إنتاجها؛ اختلافات بسيطة تعتري نطقها، وذلك خاضع لعوامل عدة، ليس هذا الحيز المناسب لذكرها، وأبرز هذه الاختلافات التفخيم والترقيق.

### 2-3-1- التلوين (التفخيم، الترقيق):

شغل موضوع التفخيم والترقيق علماء العربية الأوائل، لارتباطه بتلاوة القرآن وترتيبه، ولم يكتفوا بذلك فقط، بل ذهب بعضهم أبعد من ذلك، فعد الألف المفخمة والمرفقة أحرفاً مستقلة قائمة بذاتها، بل إننا نرى ابن

<sup>77</sup> - الأنطاعي، (دون تاريخ)، 1/ 34-38.

جني يعد الحركات القصيرة كذلك سناً، تبعاً للتفخيم والترقيق<sup>(78)</sup>. ولإيضاحه بالشكل الكافي، ستكون دراستنا للقسمين كل على حدة:

### 2-3-1-1-1- التفخيم:

التفخيم لغةً مصدر على وزن تفعيل، من فعل رباعي على وزن (فَعَّل - فَعَّم)، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) بأن "التفخيم في الحروف ضد الإمالة وألف التفخيم هي التي نجدها بين الألف والواو كقولك: سلام عليكم وقام زيد، وعلى هذا كتبوا: الصلوة والزكوة والحيوة، كل ذلك بالواو لأن الألف مالت نحو الواو"<sup>(79)</sup>، وجاء في الصحاح: "معنى فخم (ف خ م) رجل أي عظيم القدر، والتفخيم التعظيم وتفخيم الحرف ضد الإمالة"<sup>(80)</sup>.

ومن الملاحظ أن مادة تفخيم من مصدر فخم، أي تغليظ الحرف عند النطق به، وتصعيده إلى أعلى الحنك، وفي علم الأصوات نطق أصواتاً معينة هي (ص - ض - ط - ظ - خ - غ - ق)، بإرجاع اللسان قليلاً، ورفع مؤخره نحو الطبق أي الحنك الأقصى، ويضاف لهذه الأحرف الراء واللام حال كونهما مفخمين.

كما جاء في كتاب المنير في التجويد تعريف "التفخيم لغةً: التسمين والتعظيم... واصطلاحاً تسمين صوت الحرف بجعله في المخرج سميئاً وفي الصيغة قوياً، وذكر ابن الطحان (ت 560 هـ) التعريف الاصطلاحي الآتي فهو يعرف التفخيم "سَمَنَ يدخل على الحرف عند النطق به فيملاً الفم بصداه، وذلك لتضيق الحلق وتصد صوت الحرف إلى قبة الحنك فيسمع له نبرة قوية"<sup>(81)</sup>.

نستنتج من خلال تعريف التفخيم أنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة وعلم التجويد، فجاء مرادفاً لكلمات أخرى منها التعظيم والتغليظ.

للخوض في حقيقة التفخيم لا بد من الإشارة إلى مخارج الأصوات وصفات الأصوات، نجد الأول يحدد مكان خروج الصوت، والثاني يحدد الكيفية التي يخرج فيها الصوت، والكيفيات هنا تختلف باعتباريات مختلفة كاعتبار وضع اللسان، هل ارتفع مؤخر اللسان أم لم يرتفع؟ وهل ارتفاعه كان قوياً أم لا؟ وهل ارتفع مقدم اللسان أم لا؟ ولقد أولى علماء اللغة والتجويد قداماء منهم ومحدثون مبحث الصفات عناية قصوى نظراً لما يترتب عليها من تميز الأصوات عن بعضها، ومن هذه الصفات التي بحثوها التفخيم<sup>(82)</sup>.

78 - ينظر: ابن جني، 1993م، ص 50، الخصائص، تح. محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، (دون تاريخ)، 120/3.  
79 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دون تاريخ)، ص 3362، مادة (فخم). وابن منظور هنا يستعير عبارة ابن جني كما هي دون الإشارة إليه، سر صناعة الإعراب، ص 50.

80 - محمد بن أبي عبد القادر الرازي، الصحاح، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، ط 2001، ص 235.

81 - الإنبياء في تجويد القرآن الكريم، تح. حاتم صالح الضامن، مجلة الأحمدية، دبي، العدد 4، أغسطس 1999م، ص 49.

82 - د. سالم قدوري محمد، التفخيم في أصوات العربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 19، العدد 9، أيلول 2012، ص 185-186.

**الإطباق:** هو ارتفاع مؤخر اللسان وانطباقه على الحنك الأعلى، ومن الأصوات المنتجة عنه هي أربعة (ص - ض - ط - ظ) فنتيجته كل إطباق استعلاء وتقخيم، وليس كل المفخمتات تصل لدرجة الإطباق. **الاستعلاء:** أي ارتفاع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى وتنتج عنه أصوات سبعة هي حروف الإطباق + (ق، غ، خ).

**التقخيم:** ارتفاع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى، وينتج تسعة أصوات وهي حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) + اللام والراء. فنتيجته التقخيم التي تنقسم إلى قسمين، قسم يفخم دائماً، وهي حروف الاستعلاء وقسم يفخم أحياناً وهما الراء واللام.

### آراء بعض علماء اللغة في صفة التقخيم:

لقد بين علماء اللغة حقيقة صفات الأصوات وأثرها، فهي تحتل المرتبة الثانية بعد المخارج في علم التجويد ولولا الصفات لما تم التفرقة بين الأصوات، ومن هنا نستحضر موقفين موقف سيبويه وابن جني: **سيبويه:** استخدم أبو بشر مصطلح التقخيم مرة واحدة عندما عدد الأصوات المستحسنة فذكر ألف التقخيم ولكنه تحدث عن هذه الظاهرة ضمناً عبر مصطلحي الإطباق والاستعلاء<sup>(83)</sup>. **ابن جني:** لم يذكر أصوات الإطباق وإن عرف هذا الأخير بأنك ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له وعدد الأصوات المستعلية لأنها حروف استقلت إلى الحنك الأعلى.

اتفق علماء العربية والتجويد معاً متقدمين ومتأخرين على أن التقخيم صفة للصوامت السابقة الذكر، ولكن الأصواتيين اختلفوا بالنسبة للمصوتات الستة في الدرس الصوتي الحديث، فإننا نجد بعضهم يجعلها مفخمة مطلقاً، وبعضهم يجعلها مرققة مطلقاً، ولكن القول الذي نراه الأقرب للصواب، هو رأي الدكتور كمال بشر والدكتور سمير استيتية، إذ يقول الدكتور كمال بشر: "القول عندنا أن الحركات لا توصف بتقخيم أو ترقيق بذاتها، إنما يعود تقخيمها وترقيقها إلى السياق، وهذا ينطبق بتمامه على كل الحركات، الفتحة والكسرة والضمة، سواء أكانت قصيرة هذه الحركات أم طويلة"<sup>(84)</sup>، ويرى الدكتور شريف استيتية أن الحركة المفخمة محكومة بالسياق الذي يستدعي هذا التقخيم وذلك إذا تبعها أو سبقها صوت مفخم<sup>(85)</sup>، فلا وجود لمقابل فونيمي للفتحة المفخمة في العربية، أي أن معنى كلمة ما يتغير بتغير تقخيم الفتحة إلى ترقيق مثلاً<sup>(86)</sup>.

83 - ذكر الاستعلاء عند حديثه عن أصوات المانعة للإمالة.

84 - كمال بشر، 2000م، ص 409.

85 - د. سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص 148.

86 - تجدر الإشارة هنا إلى أن التقخيم يعد فونيمياً في حالة واحدة وكلمة واحدة، وذلك في تقخيم لام لفظ الجلالة، ففي التقخيم تكون (والله)، وفي الترقيق (ولاه) حيث تشترك الكلمتان في الحروف جميعها صوامت وصوائت، غير أن تقخيم لام لفظ الجلالة ميزها عن الفعل الماضي.

والآن بعد أن وضعنا معنى التفخيم والإطباق والفروق بينهما، ننتقل إلى دراسة تفخيم الألف، يرى ابن جني أن الألف المفخمة حرف فرعي من المستحسنات التي يعتد بها في قراءة القرآن، على أنه يهمل أثر الصوامت المجاورة لها في تفخيمها، يقول: "واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تنفرد عنها، حتى تكون خمسة وثلاثين حرفاً. وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام، وهي النون الخفيفة ويقال الخفية، والهمزة المخففة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي"<sup>(87)</sup>. والمعروف في الدراسات الحديثة أن الألف تفخم تفخيمًا بدرجة أقل مما ذكره ابن جني بعد حروف الاستعلاء، إلا أن ما يذكره ابن جني هنا مختلف، فهو هنا بصدد ظاهرة لهجية كانت وما تزال شائعة عند بعض القبائل العربية، ولهذا نراه في استشهاده عليها يأتي بالشواهد عينها في كل مرة، مما يدل على أن العرب . أو بعضهم . كانت تفخم الألف في هذه الكلمات دون غيرها، يقول: "وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سُلام عليك، وقَام زيد، وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو"<sup>(88)</sup>، من هذ المقتبس نرى ابن جني يذكر أمثلة على تفخيم الألف لا تنطبق على بعضها قواعد التفخيم الحديثة، والتي تشترط وجود حرف استعلاء قبل الألف، ففي كلمة (الزكاة) مثلاً، سبقت الألف بصوت الكاف، وهو صوت مهموس مستقل، وعلى هذا لا يجوز تفخيم الألف بعدها، وهذا ما يؤكد اعتماد ابن جني في كلامه على لهجة عربية قديمة، وما تزال آثار هذه اللهجة موجودة إلى يومنا هذا في اللهجة العراقية والبغدادية على وجه الخصوص؛ إذ ينطقون الألف مفخمة على وجه الإطلاق بصرف النظر عن الصوت السابق، سواء أكان حرف استعلاء أو استفال، فيقولون (كاتب، عالم، سالم ...) وكلها بتفخيم الألف.

وهنا لا بد من الوقوف عند هذه الظاهرة اللهجية التي يتحدث عنها ابن جني، إذ يقول ابن مجاهد: "إنَّ ورشًا كان يغلظ اللام، إذا تحركت بالفتح ووليها من قبله صاد أو طاء أو طاء، وتحركت هذه الحروف

87 - ابن جني، 1993م، ص 46.

88 - ابن جني، 1993م، ص 50، على أن الإمام القسطلاني ينفي زعم ابن جني في ذلك إذ يقول: "وأما قول النحاة: ولذلك رُسِمَت واوا، فإنه غلط لأنها إنما رسمت لتدل على أصلها، بدليل (الزكوة) \* لطائف القراءات للقسطلاني، تد عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1972م، ص 184.

بالفتح أو سكنت لا غير"<sup>(89)</sup>، إذن فالتفخيم أمر شائع في رواية ورش عن نافع، وهذا يمكن أن يرجع لواحد من سببين في رأينا:

1- تسمى رواية ورش رواية أهل المدينة، فقد أخذها عن الإمام نافع، مقرئ المدينة المنورة، فقد يكون التفخيم لهجة مدنية لدى الأوس والخزرج، على أننا لم نجد ذكرًا لذلك في الكتب المعنية باللهجات العربية القديمة.

2- المعلوم عن الإمام نافع أن أصله من أصفهان في بلاد فارس، واللغة الفارسية تميل إلى تفخيم الألف عموماً، وقد يكون ذلك قد أثر في قراءة الإمام نافع للمصحف.

أما بالانتقال للعصر الحديث، فقد وضع علماء اللغة فيه قواعد تفخيم الألف بشكل علمي دقيق، فالألف تفخم بعد أصوات الاستعلاء أو الراء واللام المفخمتين، يقول محمد الأنطاكي: "الفتحة المفخمة: وهي التي تأتي بعد أصوات الاستعلاء أو الراء (ص، ض، ط، ظ، غ، خ، ق، ر)، فإن اللسان معها يرتفع ارتفاعه الخفيف بمؤخرته لا بمقدمته، كما أن الشفتين لا تأخذان معها وضع التراجع بل وضع الحياض التام"<sup>(90)</sup>. وإن كان الأنطاكي في هذا المقتبس يتكلم على الفتحة (القصيرة) فإنه في حديثه عن ألف المد (الفتحة الطويلة) يصرح بأنها تشترك مع أختها القصيرة في صفاتها كلها، والفرق بينهما في الكم فقط<sup>(91)</sup>، ولكنه لم يفصل في هذا التفخيم ودرجته، ومنه نستطيع القول بأن الأنطاكي يرى تفخيم الألف بعد أصوات الاستعلاء والراء بالدرجة ذاتها من التفخيم، إضافة إلى قصره التفخيم على الفتحة (قصيرة وطويلة) دون الكسرة والضمة، ولكننا نجد الدكتور كمال بشر يفصل في الصور النطقية للصوائت، فهي عنده تفخم وترقق بحسب السياق، بل إنه لم يصنفها إلى حالات تفخيم وترقيق فحسب، بل أضاف حالة ثالثة بين التفخيم والترقيق، إذ يقول: "الفتحة قد تكون مفخمة أو مرققة أو بين التفخيم والترقيق، فهي مفخمة مع أصوات الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي في حالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والحاء والغين، ولكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى..... وما قلناه عن الفتحة ينطبق على الكسرة والضمة (طويلة وقصيرة)"<sup>(92)</sup>.

89 - أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، تح. خلف حمود الشغلي، دار الأندلس، ط1، حائل، 2015م، ص 243.

90 - الأنطاكي، (دون تاريخ)، 38/1.

91 - الأنطاكي، (دون تاريخ)، ص 43.

92 - كمال بشر، 2000م، ص 462.

## 2-3-1-2- الترقيق:

الترقيق لغةً مصدر رَقَّقَ، "الرقيق: نقيض الغليظ والثخين، والرَّقَّةُ ضد الغَلْظ" (93)، أما اصطلاحاً، فيمكن إطلاق الترقيق على مفهومين مختلفين بعض الشيء، الأول: هو نقيض التفخيم، أو عدم وجود التفخيم في الحرف، وفي هذا المفهوم تكون حروف الاستفال (جميع الحروف عدا حروف الاستعلاء السبعة) حروف مرققة، أما الثاني: فنقصد به الإمالة المعروفة في القراءات القرآنية، واشتهرت بها قراءة خلف عن حمزة.

ففي مفهوم الترقيق الذي يكون في حروف الاستفال يقول ابن الجزري في منظومته في التجويد:

### فَرَّقَنْ مُسْتَفَلًّا مِنْ أَحْرَفٍ وَحَاذِرْنَ تَفْخِيمَ لَفْظِ الْأَلْفِ

"قال ابن الناظم: أمر بترقيق الحروف المستقلة، وهي ما عدا المستعلية، ثم أكد التحذير من تفخيم الألف إذا كانت بعد حرف مستقل، أما إذا كانت بعد حرف مستعلٍ، فإنها تابعة له في التفخيم ..... ولا اعتبار بقول من قال: ينبغي المحافظة على ترقيق الألف، خصوصاً إذا جاءت بعد حرف الاستعلاء، فإن الذي ذكرناه هو الحق، وحكم الفتحة في الترقيق والتفخيم حكم الألف، وليس بينهما من فرق سوى أن الفتحة صوت ذائب (أو مصوت) قصير، والألف ذائب (أو مصوت) طويل" (94).

ويقول محمد الأنطاكي: "الفتحة المرققة: وهي الفتحة التي تأتي بعد أحد الصوامت المستقلة ... ويكون فيها مقدم اللسان مرتفعاً ارتفاعاً طفيفاً جداً، وتراجع طفيف جداً في الشفتين" (95). والأنطاكي ههنا يطابق كلام ابن الجزري، والكلام ذاته ذكرناه عن الدكتور كمال بشر في حديثه عن الحركات حال كونها مفخمة أو مرققة أو بين التفخيم والترقيق، غير أنه - وكما في التفخيم - يؤكد كمال بشر على أن الحركات جميعها خاضعة للتفخيم والترقيق بحسب السياق الصوتي، بينما يجعل الأنطاكي التفخيم والترقيق خصيصة من خصائص الفتحة (طويلة وقصيرة).

93 - ابن منظور، (دون تاريخ)، ص 1706، مادة: رقق.

94 - غانم قدوري الحمد، الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ط1، جدة، 2009م، ص 63.

95 - محمد الأنطاكي، (دون تاريخ)، 1/ 38.

أما الحديث عن المفهوم الثاني للترقيق، فهو ملتبس قليلاً، ونقصد هنا الإمالة، فالإمالة كما يعرفها صاحب الشذا: "الإمالة وتسمى الكسر، والبطح والإضجاع. هي لغة مصدر أملت الشيء إمالة: عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها، واصطلاحاً: أن تذهب بالفتحة إلى جهة الياء، إن كان بعدها ألف كالفتى، وإلى جهة الكسرة إن لم يكن ذلك، كنعمة وبِسَجِر" (96)، وهي لهجة عربية قديمة في عموم نجد، وقد قال ابن جني باستحسانها كما ذكرنا في باب التفخيم، وإننا نلاحظ في تعريف الحماوي نقطتين تجدر الإشارة إليهما:

1- يرى الحماوي - وهو من المحدثين - أن الألف في "فتى" مسبوقة بفتحة، وهذا مذهب القدامى، وهو خطأ يبين في علم الأصوات الحديث.

2- تقع الإمالة في الفتحة، طويلة وقصيرة، فإمالة الألف المعروفة كما في قراءة خلف عن حمزة لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (97)، أما إمالة الفتحة القصيرة فكما في كلمتي (نعمة، بسَجِر).

ويضع الحماوي قواعد سبعاً يعدها مسببات الإمالة، وإن كان المقام لا يتسع لذكرها بالتفصيل (98)، فإننا نكتفي بذكرها على عجالته، وهي: أن يكون أصل الألف ياء متطرفة حقيقة أو تقديرًا، وأن تبدل الألف ياء في بعض تصاريف الكلمة، وفي الفعل الأجوف شرط ألا يحتوي حرف استعلاء، وأن تأتي الألف قبل ياء أو بعدها، ووقوع الألف قبل كسرة أو بعدها، وأخيرًا لإرادة التناسب بين الفواصل، كإمالة "الضحى" لمناسبة "سجى وقلَى".

كما يذكر الحماوي مانعين للإمالة، أولهما: وجود الراء غير المكسورة قبل الألف أو بعدها، وثانيهما: وجود حرف استعلاء قبلها أو بعدها. وهنا لا بد من وقفة مع هذه الضوابط التي وضعها الصرفيون وعلماء التجويد وذكرها لنا صاحب شذا العرف، والذي يعد المرجع الأول لكل دارس للصرف، فالقارئ لهذه الضوابط على تعقيداتها يشعر بوجود منهج علمي واضح تقوم عليه المسألة، ولكنها ليست بهذا الوضوح، فإذا ما لجأنا لقراء القرآن المجازين في القراءة واستمعنا لتلاواتهم على منهج خلف عن حمزة، سنجد الكثير من الخروقات لهذه الضوابط المسببة والمانعة، ففي تلاوة سورة النجم للشيخ مشاري راشد العفاسي على قراءة خلف عن حمزة يميل ألف "القوى، يرضى، أعطى" (99) وهي كلمات مسبوقة بصوت استعلاء، في الكلمة الأولى بوجود

96 - أحمد الحماوي، شذا العرف في فن الصرف، علق عليه: د. محمد بن عبد المعطي، دار الكيان، الرياض، (دون تاريخ)، ص 236

97 - النجم، 1.

98 - الحماوي، (دون تاريخ)، ص 236، 237.

99 - الرابط على موقع يو تيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=jaL7tAcZ2Bg>

فاصل، وفي الأخرين دون فاصل، وكذلك نجد في قراءة الشيخ عبد الرشيد صوفي لسورة القمر يميل ألف "فتعاطى فعقر"<sup>(100)</sup> وهي مسبوقه بصوت الطاء الأقوى إطباقاً، والأمثلة على هذا الاختلاف في قراءات مقرئي عصرنا هذا كثيرة، ونجد الحملاوي يقول بمنع إمالة الألف في الحروف، بل يجب أن تكون الألف الممالة في اسم أو فعل<sup>(101)</sup>، ولكننا نجد القراء يميلون ألف "ياء" في بداية سورة (ي س)، وإذا قال قائل إنهم أمالوا ألف "القوى، ويرضى، أعطى" لمناسبة ختام الفواصل في سورة النجم التي تسير كلها على هذا النهج، قلنا فإن سورة القمر لا يوجد فيها هذا التناسب في ختام الفواصل، فلماذا أميلت؟ وهناك تفسيران يمكن أن يفسرا لنا هذه الظاهرة:

الأول: أن يكون قرأونا اليوم لا يقرؤون القرآن على منهج القدامى، وهذا تفسير مستبعد؛ لانتقال قراءة القرآن من جيل إلى جيل بالتواتر.

الثاني: وهو الراجح عندنا، إذ هذه الظاهرة لهجة قديمة كما ذكرنا، كانت تتكلم بها تميم وبنو أسد وعموم قبائل نجد، فهي أمر شفوي، وليس من الضرورة أن نخضعه لقواعد صارمة، أو منطوق محدد، إذ هي ظاهرة لهجية أقرب إلى الاعتباطية منها إلى المنطق العلمي.

100 - الرابط على موقع يو تيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=auNpJYRodms>

101 - الحملاوي، (دون تاريخ)، ص 239.

## 2-4- نتائج الفصل الأول:

- 1- يصعب تحديد مخرج واضح للصوائت، وهي تُنتج باشتراك كل الأوتار الصوتية واللسان والشفيتين.
- 2- تمتاز الصوائت العربية جميعها بالجهر واتساع مجرى الهواء.
- 3- تتعدد أشكال الصوائت العربية نطقاً بحسب السياق، فهي تتأثر بالصوامت السابقة أو اللاحقة، ولكن هذا الاختلاف، لا يصل المستوى الفونيمي، لأنه لا يؤدي إلى صيغة جديدة.
- 4- عني القدماء بتفخيم الصوائت في كلمات بعينها، ولم يلقوا بالاً لتفخيمها بحسب السياق الصوتي، وذلك إذا جاورت حروف الإطباق، وهذا ما فصل فيه المحدثون مهملين التفخيم الوارد عن القدامى، لأنه لهجة عربية والدراسات اليوم تتناول مستوى اللغة الفصيحة دون اللهجات.



### 3- الصوائت العربية: قضايا كتابية

### 3-1- التمثيل الكتابي للصوائت العربية في مرحلة البدايات.

بعد أن انتهينا من دراسة الشكل الصوتي المنطوق للصوائت العربية، نصل الآن إلى الشكل المكتوب أو الحروف، "فالحروف أشكال كتابية اصطلاحية متميزة، يعبر كل منها عن صوت منطوق خاص، قد تطرأ عليه تغييرات بسيطة بتأثير عوامل مختلفة (صرفية، اجتماعية، تاريخية..)"<sup>(102)</sup>.

لا بد قبل البدء في الحديث عن بدايات تدوين الصوائت العربية من الوقوف على بدايات الكتابة العربية على وجه العموم، ولسنا ههنا بصدد تبني نظرية بعينها، أو الحديث بالتفصيل عن تاريخ النقوش العربية الجاهلية، وسرد الروايات والفرضيات التي تفسر نشوء الكتابة العربية، ولكننا سنورد ما يشبه الملخص لكل ما سبق ذكره، بما يخدم موضوعنا الذي ندرسه وهو الصوائت العربية.

سنحاول في البداية تلمس تاريخ الكتابة العربية في مرحلة ما قبل تدوين المصحف، أي النقوش التي يعود تاريخها إلى العصر الجاهلي، والذي قد يساعدنا في فهم العديد من الظواهر الكتابية الموجودة في المصحف، والخط العربي -كاللغة العربية- مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخطوط السامية القديمة التي كانت سائدة في الجاهلية، وما زال بعضها مستخدم إلى يومنا هذا، ولذلك لا بد لكل دارس لتاريخ الخطوط أو اللغة العربية من معرفة غير قليلة باللغات السامية، أو إحداها على الأقل.

ومع المعرفة بضرورة البحث في تاريخ الكتابة العربية عمومًا، لا بد من الاعتراف بصعوبة هذا البحث، نظرًا لقلّة المصادر والنقوش المكتشفة عن تلك الفترة، والتي لا تتجاوز خمسة نقوش، "وهذا الغموض هو جزء من غموض تاريخ المجتمع العربي قبل الإسلام عامّة"<sup>(103)</sup>، وسبب هذا الغموض قد يرجع إلى الثقافة العربية التي تميل إلى الشفاهية؛ نتيجة لحياتهم كثيرة الارتحال، وعدم استقرارهم في حواضر مدنية تبعث الاستقرار في نفوسهم، أو قد يرجع الغموض كذلك إلى أن المؤرخين جميعًا كانوا من المسلمين، الأمر الذي جعلهم -يهملون إلى حد ما- التاريخ الجاهلي للعرب، منطلقين من مبدأ نبذ العصبية القبلية الذي دعا إليه الإسلام.

102 - أ.د. فاروق إسماعيل، الوجيز في اللغة العبرية القديمة، دار الفرقان للغات، ط1، حلب، 2011م، ص 19.

103 - عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، دار القلم، 1966، ص 61.

وبالنظر إلى الروايات القديمة التي أوردها القدماء عن نشأة الخط العربي، نجد أنها تتدرج من التوقيفية المطلقة إلى التأثر بالخطوط الأخرى، فنجد ابن عبد ربه وآخرين يوردون نصاً ينسب إلى كعب الأحبار (ت 32 هـ) إذ يقول: "أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبه في الطين ثم طبخه، فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق، وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به، فكان إسماعيل -عليه السلام- وجد كتاب العرب"<sup>(104)</sup>. وهناك روايات أخرى ذكرت أن وضع الخط العربي يعود لإسماعيل أو ولده، أو إدريس -عليهم السلام- أو حمير بن سبأ<sup>105</sup>.

وهذه الروايات وما شابهها ينكرها المنهج العلمي الصحيح، وما هي في الغالب إلا قصص خرافية تناقلتها الأجيال، وتداخلت فيها قصص الأقسام السابقة، مع محاولات تفسير النص القرآني بما يوافقها.

وتشبهها في البعد عن المنطق العلمي الرواية التي ذكرتها العديد من المصادر القديمة<sup>(106)</sup>، والتي تزعم أن أول من وضع الخط العربي جماعة أسماؤهم: أبجد هوز حطي كلمن سعفص وقرشت، نزلوا عند عدنان بن أد فاستعربوا ووضعوا الحروف العربية على أسمائهم، بعد أن أضافوا الحروف الناقصة من أسمائهم وأسموها الروادف.

والرواية ينفىها النظر العلمي البسيط، إذ ما هذه الصدفة كي يكون هناك مجموعة من الأشخاص ل تتشابه أسماؤهم ولو بحرف واحد، وهي للتصادف الحروف العبرانية أو السريانية عينها، وقد أنكرها بعض المتقدمين كذلك<sup>(107)</sup>.

وبالانتقال إلى الروايات المستندة إلى المنهج العلمي، نجد ابن دريد يذكر أن الخط العربي كان يسمى في الجاهلية بالجزم<sup>(108)</sup>، "وينقل ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني قوله: وإنما سمي هذا الخط

104 - ابن عبد ربه، العقد الفريد، تد. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983م، ج4، ص239. الجهشيار، كتاب الوزراء والكتاب، تد. مصطفى السقا وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1938م، ص1. أبو بكر الصولي، أدب الكتاب، تد. محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ص28. ابن النديم، الفهرست، ص4. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تد. شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، دمشق، 2008م، ص743.

105 - المصادر نفسها.

106 - ابن عبد ربه، 1983م، ج4، ص157. الصولي، (دون تاريخ)، ص29. وابن النديم، الفهرست، ص4. وآخرون.

107 - حمزة بن الحسن الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، تد. محمد أسعد طلس، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1968م، ص16-18.

108 - ابن دريد، جمهرة اللغة، دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد، 1345هـ، ج2، ص91.

بالجزم لأنه جُزِمَ من المسند، أي أُخِذَ منه، والمسند هو خط حمير أيام ملكهم<sup>(109)</sup>، وينكر ابن خلدون الفرضية التوقيفية في ظهور الكتابة، ويؤكد أن: "الخط من الصنائع الحضرية، وأنه من جملة الصنائع المدنية المعاشية، وأن جودة الخط إنما تكون على قد الاجتماع وال عمران"<sup>(110)</sup>، وهو لذلك يرى أن الخط العربي قد انتقل من اليمن، حيث كان بالغاً مبالغه من الأحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، إلى الحيرة حيث المناذرة نساء التبابعة، ومن الحيرة انتقل إلى أهل الطائف وقريش. ورغم الملاحظات المفيدة التي أوردها ابن خلدون، إلا أنه تأثر بما نقله الرواة العرب بشأن اشتقاق الخط العربي من المسند، وانتقاله إلى الحجاز عن طريق الحيرة، فالخطان مختلفان بشكل واضح، وقد أشار الجوهري وابن النديم لهذا الاختلاف<sup>(111)</sup>. وقد جاءت الأبحاث والدراسات الحديثة لتتفي أية صلة بين الخطين العربي والمسند، ولعل ما بينهما من صلة لا يتعدى أنهما اشتقا من أصل سامي واحد قديم<sup>(112)</sup>، وأشكال حروف الخط المسند تختلف اختلافاً أساسياً عن أشكال الخط العربي<sup>(113)</sup>. ويرى الدكتور غانم قدوري الحمد أن الاعتقاد باشتقاق الخط العربي من المسند اعتقاد خاطئ تماماً، إذ يقول: "وفي العصر الحديث كان بعض الباحثين يعتقدون، خطأً، ذلك الاعتقاد ويذهبون نفس المذهب"<sup>(114)</sup>، ولكننا نرى أن المسند قد أثر في الخط العربي، إن لم يكن في شكل الحروف ففي أسلوب الكتابة، وهذا ما سنبحثه بعد قليل، أما النظرية التالية لظهور الكتابة العربية، فهي التي أيدتها الأبحاث والدراسات الحديثة، وتقوم هذه النظرية على التأثير بالخط السرياني، وربما كان الأصح ربطها بالتأثر بالنبطية المتطورة عن الخط الآرامي، وتتلخص هذه الرواية بأن ثلاثة رجال من طيئ اجتمعوا ببقعة (وقيل في الأنبار) وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، وأضافوا الأصوات العربية غير الموجودة في السريانية، وأسماها الروادف، ثم انتقل هذا الخط إلى الأنبار ومنها إلى الحيرة فالحجاز<sup>(115)</sup>. ويرى الدكتور غانم قدوري الحمد أن هذه الرواية هي الأقرب للصحة في نشأة الكتابة العربية، رغم ما فيها

109 - ابن دريد، 1345هـ، ص 104.

110 - ابن خلدون، كتاب العبر، تح. يوسف أسعد داغر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956م، مج1، ص755-756.

111 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م، ج1، ص487. وابن النديم، الفهرست، ص5.

112 - إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، ط1، القاهرة، 1939م، ص197، وخليل يحيى نامي، نشر نقوش سامية قديمة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1943م، ص3.

113 - د. محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م، ص30.

114 - غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15 الهجري، ط1، بغداد، 1982م، ص32.

115 - أبو العباس البلاذري، فتوح البلدان، تح. عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ص476.

من قصور، وما عليها من مآخذ، إذ يقول: "إلا أنه لا بد أنها كانت تشير إلى وجود أشخاص، سواء كانت أسماؤهم هي هذه، أم قريباً منها، كان لهم دور ما في تطور الكتابة العربية"<sup>(116)</sup>، وبالنظر إلى استحالة أن يكون هؤلاء الرجال الثلاثة قد وضعوا الكتابة العربية؛ لوجود نقوش كتابية عربية (سنأتي على ذكرها) اكتشفت في العصر الحديث، تثبت أن الكتابة العربية موجودة قبل تاريخ هذه القصة بمئتي سنة تقريباً، فقد حاول الدكتور غانم التوفيق بين هذه الرواية والنقوش القديمة، إذ يقول: "ولعل الدور الذي قاموا به هو أنهم عدلوا الحروف المتداولة آنذاك، ذات الأصل النبطي، حتى تبدو في شكلها العام -ربما- أكثر تشابهاً مع السريانية، وربما نجد إشارة إلى طبيعة ذلك التعديل في الاسم (الجزم) الذي كانت تعرف به الكتابة العربية قبل الإسلام، والجزم في أحد معانيه ضرب من الكتابة وهو تسوية الحرف"<sup>(117)</sup>.

أما في العصر الحديث، فإن الأبحاث والدراسات تكاد تجمع على اشتقاق الخط العربي من الخطوط السامية الحديثة، وذلك بثلاثة دلائل، هذا ما عدا النقوش التي اكتشفت في العصر الحديث، وسنأتي على ذكرها لاحقاً:

(أ) **ترتيب الحروف العربية:** فالعرب قد استخدموا قديماً ترتيب (أبجد هوز ...) المعروف، وقد كانوا يستعملونه في التعليم، وحتى في الحساب<sup>(118)</sup>، ووصل الأمر ببعض الرواة أن قالوا إن هذه الكلمات أسماء ملوك مدين وهم من وضع الخط العربي، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن اللغات السامية القديمة كانت تعتمد هذا الترتيب، إذ يقول د. جواد علي عن هذا الترتيب: "وهو ترتيب سار عليه العرب أيضاً، هو ترتيب قديم. وقد عرف عند السريان وعند النبط والعبرانيين، وعند (بني إرم) ويظن أنهم أخذوه من الفينيقيين"<sup>(119)</sup>، أما الترتيب السائر اليوم في كتابة الحروف العربية مبتدئين بالألف ومنتهين بالياء، فهو ترتيب إسلامي، وضعه نصر بن عاصم في أيام الحجاج<sup>(120)</sup>.

(ب) **أسماء الحروف:** لا تزال العربية تستخدم الكثير من أسماء الحروف من اللغات السامية القديمة، والتي تحصلت بعد عمليات طويلة في التحول من الكتابة الصورية مروراً بالمقطعية وصولاً إلى الأبجدية<sup>(121)</sup>،

116 - الحمد، 1982م، ص 34.

117 - الحمد، 1982م، ص 36.

118 - أبو الحجاج البلوي، ألف باء، (مخطوط)، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1870م، ص 91.

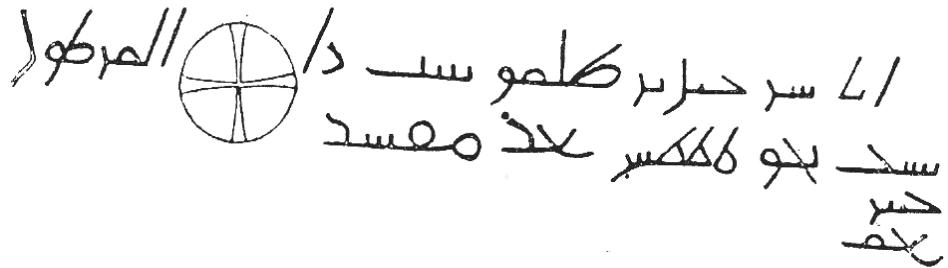
119 - د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1993م، ج8، ص 151.

120 - علي، 1993م، ص 152.

121 - علي، 1993م، ص 150-151.

فألف تعني رأس الثور، وبيت تعني البيت، وهكذا. وقد حافظت اللغات السامية على هذه الأسماء بنسب متفاوتة، فالعبرية مثلاً تحتفظ بها كاملة تقريباً<sup>(122)</sup>، والعربية تحتفظ بالكثير منها، كألف، دال، واو، زاي، كاف، لام، ميم، نون، عين، صاد، قاف، شين، سين. غير أن الثابت في جميع اللغات السامية أنها تحتفظ بقيمة الحرف الصوتية في الحرف الأول من اسمه، ومن هنا استدل ابن جني على أن الألف الواردة في بداية الترتيب الأبجدي هي صورة الهمزة لا ألف المد (الفتحة الطويلة)، وذلك قبل أن يضع الخليل رمز الهمز الصغير فوقها لتمييزها عن الفتحة الطويلة<sup>(123)</sup>.

(ج) أشكال الحروف العربية: لقد توصلت الأبحاث والدراسات الحديثة، إلى أن الخط العربي مشتق من الخط النبطي المتأخر، وذلك من خلال مقارنة خط النقوش المكتشفة شمال شبه الجزيرة العربية بالخط الذي كتبت به المصاحف، هذه النقوش التي مرت بتطور من الأقدم إلى الأحدث، فكانت في أقدمها أقرب إلى النبطية القديمة، وأصبحت في الحديثة منها عربية واضحة<sup>(124)</sup>، "وقد تطور القلم النبطي، كما تطور غيره من الخطوط، فصار له قلم قديم وقلم متأخر، امتاز بميله إلى ربط حروفه بعضها ببعض، حتى اكتسب شكلاً يمكن قراء القلم العربي الشمالي من التعرف عليه بسهولة"<sup>(125)</sup>، فإنظرنا إلى أحدث النقوش العربية قبل الإسلام، وهو نقش حران اللجاة، وجدناه مكتوباً بلغة عربية سهلة مع ملاحظة أثر نبطي بسيط يتمثل في استخدام كلمة (بر) بدلاً من (بن)، إضافة إلى زيادة الواو في الاسم (ظلمو)، الشكل (1).



الشكل (1) نقش حران اللجاة

122 - ينظر: إسماعيل، 2011م، ص 20.

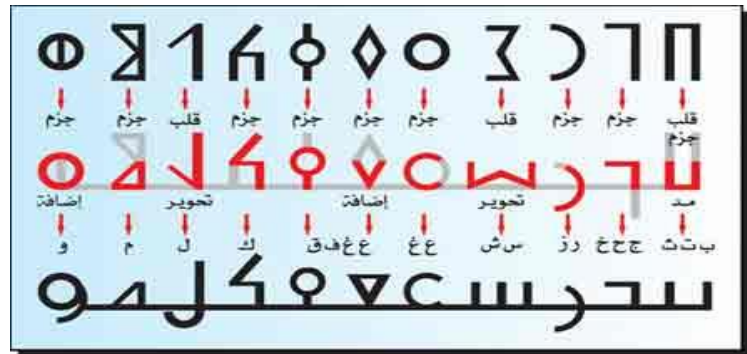
123 - ابن جني، 1993م، ص 42.

124 - ينظر: الحمد، 1982م، ص 46.

125 - علي، 1993م، ج8، ص 201.

ومع انقسام الباحثين في أصل الخط العربي، فالمستشرقين وبعض من تبعهم من الباحثين العرب يرون أنه اشتق من الخط النبطي المتأخر، بينما طائفة أخرى ترى أن هذا باطل وأن الخط العربي جُزم من المسند الحميري، أقول مع هذا الانقسام نجد رأياً يجمع بين الرأيين<sup>(126)</sup>، فالكتابة العربية -برأي الباحث- كانت في الأنبار لينة، لأن اختراعها قد تم بتأثير الكتابات الشمالية اللينة وفي أرضها، وحينما انتقلت إلى الحيرة دخلت عليها الصفات الهندسية المنظمة المتوفرة في خط المسند فتتمت فيها تسوية الحروف، وعندها أطلق عليها في بعض المصادر الخط الحميري وتميزت الكتابة المبكرة عند الباحث بصفتين المسارات الهندسية المنظمة التي وصفت في المصادر القديمة على أنها تسوية الحروف، ثم أعقبها الترويس المثلث الذي ميز الخط الكوفي المتطور على مر العصور، وهذا هو مفهوم الجزم في الظاهرة التي تمثل الاستفادة من المسند في أسلوب التنفيذ وليس في شكل الحرف الذي هو جزم تمثل الاستفادة فيه من كتابة أخرى هي الكتابة الحضرية"، فالكااتب يجعل الحروف العربية مشتقة شكلاً من الكتابة الحضرية (كتابة مدينة الحضر) ويرفض تسميتها بالكتابة السريانية، أما شكل الحروف المستوي فإنه يجعله مستفاداً من المسند.

والرأي عندنا أن هذا الاحتمال غير بعيد عن المنطق، فصلة الخط العربي بالخطوط الآرامية الحديثة كالنبطي المتأخر، صلة واضحة تظهر في تطور أشكال عديد الحروف في النقوش الجاهلية، كما أن أسلوب الكتابة في الخط الكوفي الذي يرجح ظهوره بدءاً في الحيرة يشبه أسلوب الخط المسند الحميري، وأقول إن هناك دليلاً آخر على صلة تربط الخط العربي بالمسند في شكل بعض الحروف، فمثلاً الخطوط المشتقة من الآرامية كانت تستخدم صورة السين كما في الحرف العبري (سامخ) ورمزه (O) بعيد كل البعد عن السين في العربية بل وحتى في النقوش، فإننا نجد شيئاً أقرب إلى السين الحميرية، التي نجدها في الصورة المرفقة.



126 - يوسف زيدان، مقالة على الشبكة، الرابط: <https://hibastudio.com/arabic-and-masnad>

### 3-1-1- رموز الصوائت:

سنعرض في هذا القسم للوضع الكتابي الذي اتخذته الصوائت في مرحلة البدايات للكتابة العربية، وسنعمد على النقوش الجاهلية الخمسة الشهيرة<sup>(127)</sup>، والتي اعتمد عليها المستشرقون في بناء أفكارهم عن الخط العربي، ونقش أسيس المكتشف عام 1965م جنوبي دمشق، بالإضافة إلى ما يتوافر من صور مخطوطات المصحف الأقدم، وبعض كتب النبي ﷺ إلى ملوك الأمصار.

فمن المعلوم أن العربية لم تتخذ رموزًا كتابية للصوائت القصيرة في طور البدايات، وهذا أمر ثابت في أخواتها الساميات، فالنبطية والسريانية كذلك كانت تدون دون الصوائت القصيرة، وهذا أمر نلاحظه بوضوح في جميع النقوش العربية المكتشفة وفي نقوش صدر الإسلام والمخطوطات القليلة التي وصلت إلينا من ذلك العصر، ولو كانت العربية قد اعتمدت رموزًا للصوائت القصيرة في طور البدايات لما اضطر علماء العربية الأوائل إلى وضع نقط الشكل ثم الحركات، وهذا سندرسه في المبحث القادم بإذن الله.

والعربية باعتبارها لغة سامية شبيهة بأخواتها الساميات، حيث اعتمدت على الصوائت ثم لم تستخدم رموزًا تعبر عنها، أو عن أكثرها بتعبير أدق، وفي مقابل هذا الإهمال لكتابة الصوائت، اعتمدت العربية وغيرها من الساميات على الصوائت بشكل عام في تنويع الدلالة، وفي إبراز الصوت وإيضاحه وفي وصل الصوائت بعضها ببعض، وأخيرًا وليس آخرًا في ترنيم الشعر والغناء.

أما الصوائت الطويلة، فإذا نظرنا في تاريخ الكتابة العربية، وجدنا تركها رموز هذه الصوائت ليس تركًا مطلقًا، ففي النقوش التي ذكرناها سابقًا نجد الصوائت الطويلة تكتب حينًا وتحذف حينًا آخر، ويكون الحذف أكثر ما يكون في الفتحة الطويلة (ألف المد)، أما الضمة والكسرة الطويلتان، فقلما تحذفان، ففي نقش أم الجمال الأول -وهو الأقدم بين هذه النقوش- وردت كلمة "تنوخ" وهي تضم صوت الضمة الطويلة مثبتة في الكتابة، وكذلك كلمات "ملوكهم، مدينة، بنيه، الشعوب، روم" في نقش النمارة الذي يعد أكثر النقوش مادة لغوية، وردت هذه الكلمات وقد أثبتت فيها الضمة والكسرة الطويلتان، أما أوضح النقوش القديمة

127 - النقوش القديمة التي اكتشفت هي حسب الترتيب الزمني بدءًا بالأقدم: نقش أم الجمال الأول 250م، نقش النمارة 328م، نقش زيد 512م، نقش حران 568م، نقش أم الجمال الثاني (غير محدد التاريخ، ويرجح أنه في أواخر القرن السادس الميلادي)، بالإضافة إلى نقش أسيس 528م. ينظر تفاصيل ذلك

وأقره إلى عربية القرآن الكريم، ونقصد هنا نقش حران، فقد وردت فيه كلمتان تحويان الضمة والكسرة الطويلتان، وهما "شرحيل، مرطول"، وإذا ما عدنا إلى نقش النمارة، سنجد فيه ظواهر صوتية أخرى غير كتابة الضمة والكسرة الطويلتين، ونتكلم هنا عن حذف الكسرة الطويلة في كلمة "الأسدیین"، ومع الأخذ بالحسبان أن كاتب هذا النقش عربي متكلم؛ بدليل جملته "فلم يبلغ ملك مبلغه" التي تعد الجملة الأرقى أدبيًا في جميع النقوش الجاهلية، فإن هذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن الخط العربي بدأ يتخذ ملامح خاصة به منذ ذلك الطور، وليس كما يعتقد معظم الباحثين بأن الخط العربي لم يتخلص من آثار النبطية إلى وقت متأخر، وربما تقودنا نقوش جديدة فيما بعد إلى نتائج أخرى ذات أهمية كبرى في معرفة تفاصيل التحول من الخط النبطي إلى العربي.

يعتقد الكثير من الباحثين بأن هذا التذبذب في كتابة الصوائت الطويلة وحذفها في النقوش يعود إلى أن الخط العربي كان يمر في ذلك الوقت بمرحلة انتقالية جعلت الكتابة يترددون بين الإثبات والحذف، ونحن نخالف هذا الاعتقاد قليلاً، فالخط العربي كان وقتها غير متضح المعالم، نعم، ولكنه كان ما يزال متأثراً بالخطوط السامية القديمة، أما المرحلة الانتقالية فقد مر بها الخط العربي في فترة تدوين المصحف، وإليه يرجع حذف الصوائت الذي ما زلنا نشاهده في نسخ المصحف، حتى أننا نكتبه في يومياتنا، كما في كلمات: الرحمن، هذا، ذلك ...

وإذا صحت النظرية القائلة بأن أصل الخط العربي يعود إلى النبطي المتأخر، والذي يعود بدوره إلى الخط الآرامي، أقول إذا صحت هذه النظرية، يصبح واضحاً سبب حذف الفتحة الطويلة في النقوش العربية، وإثبات الضمة والكسرة الطويلتين، وذلك لأن اللغات السامية القديمة تحوي رمزاً مكتوباً للياء والواو ولا تحوي رمزاً للفتحة الطويلة، وإنما للهمزة، ونلاحظ ذلك في العبرية، فالهمزة (X) أما ألف المد فتمثل بحركة توضع تحت الحرف تسمى (قامص جادول) ورمزها ( ٲ ) أما الياء والواو فيرمز لهما بالرمزين (ا، ٲ) على التوالي، على أن هذين الرمزين يستخدمان للياء والواو الصامتتين، أما المدّيتين فيستخدم للتعبير عنهما بالرمزين نفسهما مسبوقين بحركة قبلهما (أ، ٲ).

ومن هنا عند اشتقاق العرب لكتابتهم من كتابة سامية سابقة استخدموا المنطق نفسه، فاستغنوا عن الفتحة الطويلة كتابةً، وأثبتوا الكسرة والضمة الطويلتين. ومن هنا أيضاً نجد تفسيراً لاعتقاد القدامى وبعض المحدثين، بوجود حركة من جنس حرف المد قبله.

### 3-2- تطورات لاحقة في التمثيل الكتابي للصوائت العربية.

يرى الباحثون أن العلماء العرب القدماء قد أولوا الصوامت عناية خاصة، وأهملوا الصوائت، "وأن اهتمامهم هذا يعود إلى نظرية الأصول والفروع عندهم، فأصول الكلمات أصواتها الصامتة، كما تعود عنايتهم بالصوامت إلى وجود رموز مستقلة للحروف، سابقة لرموز الحركات"<sup>(128)</sup>، وإذا ما عدنا إلى اللغات السامية القديمة، فإننا سنجد الصوائت غير موجودة بالمعنى الحديث في أبجدياتهم، إلا أنهم استخدموا في البدايات رمزي الواو والياء الصامتين للتعبير عن الضمة والكسرة الطويلتين، واستغنوا عن كتابة الفتحة الطويلة، هذا مع غياب تام للتمثيل الكتابي للصوائت القصيرة، غير أن هذا الحال لم يدم طويلاً، فأقدم ظهور للصوائت بشكل مستقل ظهر في السريانية على شكل نقاط متوسطة (•) للدلالة عليها<sup>(129)</sup>، وهذه النقاط يتغير مكانها للتعبير عن صوائت مختلفة.

وتتشارك اللغات السامية في الهدف أو الدافع الذي جعل علماءها يبتكرون رموزاً للصوائت، وهو وجود النص المقدس، فالسريان لما اعتنقوا المسيحية، وكتبوا الكتاب المقدس والشروح المتعلقة به بخطهم الذي لا يحتوي رموزاً كتابية للصوائت، فظهرت الحاجة إلى وضع نظام صوتي متكامل؛ لحفظ النص المقدس من الزلل، فبدؤوا بالنقط الدال على الفتح والكسر ثم طوروا هذا النظام ليشمل جميع الصوائت، والعبرانيون ابتكروا الحركات تحت الحروف في وقت نشطت فيه الكتابة الدينية وتفسير العهد القديم. وعلى هذا النهج سار العرب، فالعرب اعتمدوا طوال تاريخهم على الثقافة الشفاهية؛ بسبب ميلهم إلى الارتحال وعدم الاستقرار، حتى ظهر الإسلام فظهرت الحاجة إلى وجود خط متكامل ذي قواعد لكتابة النصوص الدينية، من قرآن أو حديث، ومع دخول الأعاجم في الإسلام أصبحت ضرورة ملحة لتمثيل الصوائت برموز مكتوبة، منعاً لوقوع عامة الناس في اللحن وتحريف النص الديني المقدس.

128 - كمال بشر، علم اللغة العام، دار المعارف، ط7، القاهرة، 1980م، ص 190، 191.

129 - غالب فاضل مطلب، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1984م، ص 149.

ومع انتشار الدعوة الإسلامية في الأمصار، دخل الكثير من الأعاجم في الإسلام، وبدأ اللحن ينتشر على ألسنة العامة، الأمر الذي جعل اللغويين ينهضون بهذا العبء، ويطورون الكتابة؛ درءاً لانتشار اللحن، وابتعاد الناس عن السليقة العربية الأصيلة، وهنا جاء دور أبي الأسود الدؤلي، الذي وضع نقط المصحف، بتوجيه من زياد بن أبيه أو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وينسب هذا العمل كذلك إلى يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثي<sup>(130)</sup>، يقول الداني: "اعلم... أن الذي دعا السلف إلى نقط المصاحف، بعد أن كانت خالية من ذلك، وقت رسمها، ما شاهدوه من أهل عصرهم، مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها، من فساد ألسنتهم، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه مع مرور الأيام من تزيّد ذلك، فيمن يأتي بعد، ممن هو -لا شك- في علم الفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه... لكي يرجع إلى نقطها، ويصار إلى شكلها، عند دخول الشكوك وعدم المعرفة، ويتحقق بذلك إعراب الكلم، وتترك به كيفية الألفاظ"<sup>(131)</sup>، فوضع النقط كان لغاية دينية في المقام الأول، وذلك خوف انتشار اللحن بين الناس، وقد رويت قصص كثيرة تشرح ذلك، منها قصة أبي الأسود الدؤلي مع الأعرابي الذي قرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(132)</sup>، بكسر لام (رسوله) مما جعله يقبل بوضع النقط، وغير ذلك كثير من القصص التي لا يتسع المقام لذكرها ههنا<sup>(133)</sup>.

وقد وفق الداني بين روايات بدء النقط فقال: "يحتمل أن يكون يحيى ونصر أول من نقطها للناس بالبصرة، وأخذاً ذلك عن أبي الأسود، إذ كان السابق إلى ذلك، وهو الذي جعل الحركات والتنوين لا غير، ثم جعل الخليل بن أحمد، الهمز والتشديد والروم والإشمام"<sup>(134)</sup>.  
والرواية الشهيرة عن أبي الأسود الدؤلي تقول: إنه جاء برجل من عبد القيس، بعد أن اختاره من بين ثلاثين رجلاً، وطلب منه أن يأخذ صبغاً مخالفاً للون المداد، وأن يضع نقطة فوق الحرف عند الفتح، ونقطة أمام الحرف عند الضم، ونقطة تحت الحرف عند الكسر، فإذا قرأ تنويهاً وضع نقطتين<sup>(135)</sup>، والحق أن ما ينسب

130 - أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح. محي الدين عبد الرحمن رمضان، منشورات مجمع اللغة العربية،

دمشق، 1971م، ص 15-18.

131 - الداني، 1997م، ص 18، 19.

132 - التوبة.3.

133 - الأنباري، 1971م، ص 15-18.

134 - الداني، 1997م، ص 6.

135 - الداني، 1997م، ص 4.

إلى أبي الأسود هو نقط الإعراب والتتوين فقط، أي لم ينقط الكلمة بكاملها، بل نقط أواخر الكلم فقط، وربما فصل من جاء بعده وأضاف، وسنورد هنا مثالاً لنقطه:

الخدمت لله

فقد وضعوا لاحقاً النقطة الصفراء للهمز والذال المقلوقة للتشديد، والجرة للسكون، والدائرة للحرف الساقط من اللفظ وغيرها<sup>(136)</sup>.

وقد تشعب أمر نقط المصحف إلى علم قائم بذاته، له مدارسه وطرقه، فنقط البصرة غير نقط المدينة ومكة، فقد ذكر الداني أنه ورد في مصحف المدينة: ﴿يَأْسُوْعَ إِلَّا﴾<sup>(137)</sup>، بنقط الهمزتين، وأهل الحجاز لا يحققون الهمز أينما وقع، لكنهم نقطوا على مذهب أهل البصرة<sup>(138)</sup>، كما يذكر قولاً لابن أثنه (ت 360 هـ)، وهو صاحب كتاب النقط الذي لم يصل إلينا، إذ يقول: "رأيت في مصحف إسماعيل القسط، إمام أهل مكة، الضمة فوق الحرف، والفتحة قدام الحرف، ضد ما عليه الناس"<sup>(139)</sup>، وهذا برأينا أقرب إلى الذوق الصوتي المستند إلى علم الأصوات الحديث، فكما تبدأ الصوائت من عل نحو الانخفاض، ضمة ثم فتحة ثم كسرة، كذلك كان حق الضمة أن تكون فوق الحرف لارتفاع مخرجها والفتحة بين يدي الحرف لاستواء مخرجها، والكسرة تحت الحرف لانخفاض مخرجها.

3-2-2- محاولة الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ميز الباحثون بين النقط والشكل، وميزوا كذلك بين نوعين للنقط، وقد استعملت هذه التقسيمات وعرفت في التراث اللغوي العربي:

**نقط الإعجام:** لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة، وهو الذي ينسب وضعه إلى نصر بن عاصم الليثي (ت 90 هـ)، ويستنتج الدكتور غانم الحمد من القصص التي تروي بداية نقط الإعجام أنه حصل بين سنة (75 هـ) بداية ولاية الحجاج على العراق، وبين (90 هـ) سنة وفاة نصر بن عاصم، غير أن ذلك يتعارض مع النقوش المكتشفة، والتي جاءت بحروف منقوطة، كنقش سد الطائف المؤرخ (58 هـ)، ونقش وادي حفنة الأبييض المؤرخ (64 هـ)<sup>(140)</sup>، غير أننا لا نرى في اكتشاف النقوش ما يثبت أن شخصاً آخر غير نصر بن عاصم قد وضع نقاط الإعجام، فتاريخ النقشين المذكورين ليس ببعيد، ولكن العقبة تكمن في

136 - الداني، 1997م، (مقدمة المحقق)، ص 38، 39.

137 - يوسف، 53.

138 - الداني، 1997م، ص 8.

139 - الداني، 1997م، ص 9.

140 - غانم قدوري الحمد، علم النقط والشكل، دار عمار، عمان، 2016م، ص 22.

أن نصر بن عاصم مجهول تاريخ الولادة، ولكنه تتلمذ على أبي الأسود الذي توفي (69 هـ) على أرجح الأقوال، وهذا يدل على أن نصرًا كان عالمًا يأخذ عن أبي الأسود قبل سنة (58 هـ)، سنة النقش الأول، والذي نريد أن نصل إليه أن نصرًا قد وضع نقط الإعجام فعلاً، ولكنه وضعه في تاريخ سابق ببضع عشرة سنة، ولكن الرواة جعلوا ذلك في ولاية الحجاج، كما وضعوه في الكثير من القصص عن بدايات النحو كذلك، ربما رغبة في تعظيمه لا أكثر.

**نقط الإعراب:** وهو الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي، وقد تكلمنا عليه في المطلب السابق.

**الشكل:** في اللغة المثل والشبه، وأشكل الأمر التبس، وشكّلتُ الكتاب أشكُّله شكلاً: إذا قيّدته بعلامات الإعراب<sup>(141)</sup>.

"وأما الشكل في اصطلاح الخط، فهو ما يوضع فوق الحروف أو تحتها من العلامات الدالة على الحركة المخصوصة أو السكون أو الهمز أو المد أو التتوين أو الشد"<sup>(142)</sup>، وينسب وضع الشكل للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي وضع الحركات (الصوائت القصيرة)، وهي رموز مأخوذة من حروف المد، فلما كانت الحركات (الصوائت القصيرة) أبعاض أصوات المد واللين (الحركات الطويلة)، كانت رموزهن الكتابية كذلك مأخوذة منها بالتصغير، فالفتحة ألف صغيرة مبطوحة فوق الحرف، والضممة واو صغيرة فوق الحرف، والكسرة ياء صغير تحت الحرف<sup>(143)</sup>، ولكن الخليل استغنى عن رأس الياء واكتفى بمدتها. ويرجع السبب الذي دفع الخليل لاختراع هذا النظام؛ أن نقط الإعراب قد يلتبس بنقط الإعجام، خاصة إذا لم تكن ألوان الحبر المستعملة فيهما صافية.

"وقال أبو بكر بن مجاهد في كتابه النقط: الشكل سمة الكتاب، كما أن الإعراب سمة لكلام اللسان، ولولا الشكل لم تعرف معاني الكتاب. كما لولا الإعراب لم تعرف معاني الكلام. والشكلُ لما أشكل. وليس على كل حرف يقع الشكل. إنما يقع على ما إذا لم يشكل التبس. ولو شكل الحرف من أوله إلى آخره، أعني الكلمة، لأظلم، ولم تكن فائدة، إذ كان بعضه يؤدي إلى بعض"<sup>(144)</sup>،

وقد ذهب ابن درستويه (ت 347 هـ) مذهباً غريباً في أصل رموز الحركات، فهي عنده مشتقة من حروف أسمائها: "فأما الشكل الذي هو صور للحركات والسكون فأربعة أشياء: الفتحة، والضممة، والكسرة، والوقفة، وهي رقوم مشتقة من حروف أسمائها، فرقم الحركات الثلاث راء غير محققة في الوجوه الثلاثة، وهي مأخوذة من راء الحركة، وقد زيدت على رقم الضمة علامة تفرق بينها وبين غيرها، مأخوذة من الواو

141 - ابن منظور، (دون تاريخ)، مادة (شكل).

142 - نصر الهويريني، المطالع النصرية، تح. طه عبد المقصود، مكتبة السنة، ط1، القاهرة، 2005م، ص 204.

143 - أبو جعفر النحاس، صناعة الكتاب، تح. بدر أحمد ضيف، دار العلوم العربية، ط1، بيروت، 1990م، ص 154.

144 - الداني، 1997م، ص 23.

لاشترك الضمة والواو في اللفظ والمخرج<sup>(145)</sup>، وهو رأي فيه الكثير من الشطط، فالثابت عن علماء العربية في كل العصور أن صورة الحركات مأخوذة من صورة أحرف المد، لأنها بعضها في اللفظ، فأصبحت بعضها في الكتابة.

وهكذا نجد أن علماء العربية الأوائل قد عنوا بإكمال النظام الكتابي العربي؛ للمحافظة على النص المقدس، المتمثل في القرآن، وقد مرت جهودهم في هذا المجال بثلاث مراحل: كانت الأولى منها مرحلة نقط الإعراب التي اخترعها أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، وتركزت محاولته على إظهار علامة الإعراب لأواخر الكلمات في القرآن، لكيلا يقع الغلط في الإعراب في القرآن فيؤدي إلى قلب المعاني، ثم تطور هذا النظام فيما بعد ليشمل شكل جميع حروف الكلمة، وأما المرحلة الثانية، فكانت على يد نصر بن عاصم الليثي (ت 90 هـ)، تلميذ أبي الأسود، والذي وضع نقاط الإعجام، للتفريق بين الحروف المتشابهة، ثم جاءت المرحلة الأخيرة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ)، الذي وضع رموز الحركات الثلاث، مأخوذة من شكل أحرف المد، ووضع السكون والشدة والهمز والمد، وإليه يرجع الفضل في انتشار الشكل بين الكتاب، فالنقط لم يستخدم إلا في تدوين المصاحف، وبقي يسمى نقط المصاحف، أما الشكل الذي ابتكره الخليل، فقد سمي شكل الشعر؛ لأنه استخدم في ضبط كتب اللغة والشعر، وقد رفض القراء الأوائل إدخال الشكل إلى المصاحف، وتشددوا بذلك، ولكن سرعان ما خف ذلك التشدد مع مرور الزمن، ورجبة الناس في نظام سهل للقارئ والكااتب بدل نظام التنقيط، الذي من الممكن أن يتداخل مع نقط الإعجام، خصوصاً في ظل غياب المطابع واستخدام النسخ باليد في أيامهم تلك، وعلى هذا بقي نظام الخليل موجوداً إلى يومنا هذا.

ولدينا بعض الملاحظات على هذه المحاولات، وهي كالآتي:

1- استعمل العرب -كما ذكرنا سابقاً- طريقة اللغات السامية القديمة، في عدم كتابة الصوائت القصيرة، وكذلك الفتحة الطويلة لعدم وجود رمز كتابي لها، واستعملوا رمز الواو والياء الصامتتين للتعبير عن الضمة والكسرة الطويلتين، وما فعله علماؤنا أنهم أوجدوا شكلاً كتابياً للتعبير عن الصوائت القصيرة فقط، دون الالتفات إلى مشكلة الصوائت الطويلة، بل إنهم عبروا عن الفتحة الطويلة بالمنطق ذاته الذي عبروا به عن الضمة والكسرة الطويلتين، فاستعملوا رمز الألف. ولكنهم حتى عصر تلك المحاولات لم يلتزموا بذلك، فتراهم في كتبهم وفي نسخ المصاحف يثبتون الفتحة الطويلة مرة، ويسقطونها مرة أخرى.

145 - ابن درستويه، كتاب الكتاب، تد. إبراهيم السامرائي، عبد الحسين الفضلي، دار الكتب الثقافية، ط1، الكويت، 1977م، ص 98.

2- بقيت رموز الصوائت القصيرة أعراض تصيب الأصل، والذي هو ههنا الحرف الصامت، فلم تأخذ نطق الدؤلي ولا حركات الخليل حقها في أن تكون حروفاً تاماتٍ، كما أثبت ذلك علم الأصوات الحديث.

3- كانت الكتابة العربية في صدر الإسلام ما تزال في طور النضج، ولم تكن ناضجة مستقرة تمام الاستقرار؛ الأمر الذي كان يسمح للعلماء بوضع نظام صوتي متكامل، يعبر فيه عن أصوات اللغة العربية بشكل علمي دقيق، دون أن يكونوا مجبرين على إعادة نسخ ملايين المجلدات كما هو الحال في يومنا هذا.

4- يدلنا رفض نُقَاط المصحف لنظام الخليل على أن الجديد في أي زمان، وفي كل شيء، سيتعرض للنقد والرفض، ولكن في النهاية سيفرض المنطق العلمي نفسه، ومن هنا كان لزاماً عليهم متابعة المحاولات لجعل الكتابة العربية نظاماً متكاملًا لا نواقص فيه.

### 3-3- آراء علماء اللغة المحدثين في التمثيل الكتابي الموروث للصوائت العربية واقتراحاتهم:

واجهت اللغة العربية الكثير من الدعوات عبر تاريخها الطويل، لا سيما منذ أواخر القرن التاسع عشر؛ بهدف تيسير الكتابة العربية وتسهيلها، وتخليصها من عيوبها تارة، أو بهدف زعزعتها ومحاولة هدمها تارة أخرى، وقد انقسمت هذه الدعوات إلى قسمين اثنين: **الأول**: دعوة بعض اللغويين والمختصين في شأن الخط العربي، بهدف تسهيل الكتابة العربية، واستكمال نواقصها، وجعل نظام الكتابة العربية نظاماً متكاملًا يعبر عن جميع الأصوات المنطوقة في اللغة العربي. **والثاني**: الدعوة إلى هجر الحرف العربي واستبدال الحرف اللاتيني به، وجاءت الكثير من المحاولات بعد نجاح التجربة التركية التي استبدلت الحرف اللاتيني بالعربي.

ولا يخفى على عاقل خطر الدعوة الثانية، لما فيها من محاولة لقطع الإنسان العربي عن تراثه، وحضارته العربية الإسلامية، ثم مع مرور الزمن تصبح نصوص هذا التراث، سواء منها الديني أو الأدبي، مجرد نصوص ميتة لا يفقهها إلا قلة من المتخصصين، كاللغة اللاتينية.

وسنتحدث أولاً عن القسم الثاني باقتضاب، من باب الذكر لا أكثر، ثم نفضل الحديث في القسم الأول، فقد انتشرت في أواسط القرن الماضي الدعوات إلى هجر الحرف العربي، واعتبار الكتابة العربية كتابة ميتة، لا تحقق أهداف العصر، عصر الصحافة والطباعة، وكان المنطلق الذي صدرت عنه تلك الدعوات صعوبة الطباعة بالحرف العربي، والتكلفة العالية لتجهيز المطابع العربية، وقلة الإنتاجية إذا ما قورنت بالحرف اللاتيني، بالإضافة إلى دعوة مجامع اللغة العربية إلى مسابقات لتيسير الكتابة العربية<sup>(146)</sup>، على أن تلك المجامع لم تقبل بأية محاولة وردت إليها، سواء تلك التي تدعو إلى اللاتينية، أو المحاولات التي انطلقت من شكل الحروف العربية ذاتها، وقد كانت أول دعوات هجر الحرف العربي، واستبدال اللاتينية به دعوة داود الجلي لكتابة العربية والتركية والفارسية بالخط اللاتيني سنة 1904م، ثم تبعها الكثير من الدعوات، كدعوة عبد العزيز باشا فهمي 1944م، وسلامة موسى 1945م، ولويس عوض 1981م، على أن هذه الدعوات إلى اللاتينية لم تكن متفقة في هدفها، فعبد العزيز فهمي مثلاً، لم يدع لترك التراث ولكنه طالب بصرف الأموال لكتابة كل التراث اللغوي والديني بالنظام الجديد، أما مشروع سعيد عقل في لبنان

146 - لمطالعة جميع المحاولات لتيسير الكتابة العربية ينظر: د. محمود فهمي حجازي، تيسير الكتابة العربية، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر)، العدد الخامس، 1982 م.

مثلاً، فقد دعا لترك اللغة العربية كلياً، وكتابة ما أسماه "اللغة اللبنانية" بالحروف اللاتينية، كما عثرت على مشروع لمحمد سرحان على الشبكة، يدعي فيه صاحبه أن الجميع متفق على أن اللغة العربية لغة ميتة، وهو يدعو للغة مبسطة فيها شكل واحد للأفعال والجموع والجنس، ومن خلال الأمثلة التي يعرضها فإنه يحول العربية إلى لغة تشبه كلام بعض الأعاجم ف بالعربية في بداية تعليمهم<sup>(147)</sup>، وقد عثرنا على مشروع آخر في هذا السياق، ولكنه جدير بالاهتمام أكثر من سابقه، والمشروع مطبوع في كتاب بعنوان "العربية بالحروف اللاتينية" للباحث عبد الرزاق القوسي، وهو يضع مشروعه لغاية واحدة فقط، وهي توحيد الشكل الكتابي لأسماء العلم العربية في المستندات الرسمية، وذلك لضرورات أمنية، فيضع أبجدية عربية بحروف لاتينية لهذه الغاية فقط، ويكون فيها كل حرف معبراً عن صوت لغوي خاص به<sup>(148)</sup>.

أما إذا توجهنا إلى دعوات الإصلاح الحقيقي التي قام بها المختصون للارتقاء بواقع الحرف العربي وتلافي نواقصه، فإننا سنجد كمّاً هائلاً من الاقتراحات، وقد أشرنا إليها سابقاً كما عددها الدكتور محمود فهمي حجازي في بحثه سابق الذكر، وسنقف في بحثنا هذا عند ثلاثة اقتراحات، لما وجدنا فيها من تميز عن غيرها، ولكن في البداية سنعرض لمشكلات الكتابة العربية وآراء العلماء بها:

### 3-3-1- الآراء:

بدأت الكتابة العربية تأخذ طابعها الخاص، والنظام الأبجدي يأخذ أبعاده قبل الإسلام بوقت قريب، وهذا ما ناقشناه في المطلبين السابقين، ورأينا أن النظام الكتابي للعربية تم تطويره على يد علماء اللغة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، إلا أنه منذ ذلك الحين بقي حبيس تلك القواعد، وذلك الرسم، على ما فيه من علات ونواقص، كشفها علم الأصوات الحديث، وسنورد فيما يأتي بعضاً من مشاكل النظام الكتابي العربي، وخصوصاً ما يتصل منه بموضوع هذا البحث:

1- كانت الأبجدية العربية في بداياتها تتكون من ثمان وعشرين رمزاً، تعبر هذه الرموز عن الأصوات الصامتة، ورأينا أن العربية في ذلك تتبع أخواتها الساميات، ثم ظهر رمز ألف المد (الفتحة الطويلة) بشكل مستقل في الأبجدية على شكل (لا)، وذلك بعد أن وضع الخليل رمز الهمزة، للتفريق بين الهمزة والألف، أما الواو والياء الصائنتين فقد استخدم في التعبير عنهما رمزا الواو والياء الصامتتين، وبهذا

147 - محمد سرحان، اللغة العربية المبسطة، مقال على الشبكة العالمية، الرابط: <https://io.hsoub.com/culture/>

148 - عبد الرزاق القوسي، العربية بالحروف اللاتينية، المجلة العربية، الرياض، 1440 هـ.

أصبحت العربية تحوي تسعًا وعشرين رمزًا أبجديًا، على أن أصوات العربية الأصلية أربعة وثلاثون، هي الصوامت التي ذكرناها وستة صوائت، ومن هنا يرى علماء اللغة في العصر الحديث أن الأبجدية يجب أن تعبر عن كل صوت لغوي برمز خاص به؛ ابتغاء الوضوح وسهولة تعليم اللغة، وقد جاءت بعض محاولات تيسير الكتابة العربية في العصر الحديث بمقترحات لا تراعي هذه الناحية، فأهملت مطابقة الرموز لأصوات اللغة<sup>(149)</sup>.

2- تطلق أسماء الألف والواو والياء على مدلولين في العربية، هما: الهمزة والواو والياء الصوامت، والألف والواو والياء الصوائت، ومن هنا نجد الرمز الكتابي في هذه الأصوات يعبر عن صوتين مختلفين اختلافًا كبيرًا<sup>(150)</sup>.

3- الأصل في دراسة الأصوات وفق المنهج الحديث هو الاتجاه من الأصوات إلى الحروف، إذ ينظم الباحث ما لديه من أصوات جرت ملاحظتها ووصفها، فييوها إلى مجموعات تسمى كل مجموعة منها حرفًا، ولكن القدامى حين تصدوا لتحليل الأصوات العربية كان بين أيديهم نظام صوتي كامل معروف ومشهور للغة العربية وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النظام قد جرى تطويعها للكتابة منذ زمن طويل، فكان لكل حرف منها رمز كتابي يدل على الحرف في عومه، دون النظر إلى ما يندرج تحته من أصوات، فارتضى القدامى هذا النظام واتخذوه نقطة ابتداء في دراساتهم للأصوات، وهكذا جاء منهج النحاة في دراسة الأصوات من حيث اتجاه الحركة عكس المنهج الحديث<sup>(151)</sup>.

4- يرى الدكتور تمام حسان أن رموز الأبجدية العربية لا تكفي بنفسها للقيام بدراسة أصواتية، لا للغة العربية الفصحى، ولا لأي لهجة من اللهجات العامية، ذلك لأن رموز هذه الأبجدية قاصرة قصورًا عظيمًا من وجهة نظر العلل (الصوائت) وقصورًا أقل شأنًا من وجهة نظر الصحاح (الصوامت).

149 - محمود فهمي حجازي، 1982م، ص 132 - 133.

150 - بشر، 1998م، ص 15.

151 - ينظر: حسان، 1994م، ص 50، 51.

أما من جهة العلل فلم تعن الأبجدية العربية بها لا من الناحية الأصواتية ولا من الناحية التشكيلية؛ بل جعلت لها رموزاً إضافية تابعة لرموز الصحاح، وتدل على الحرف أكثر مما تدل على الصوت، وحسبنا أن نعلم أن الفتحة القصيرة مثلاً ذات أصوات ثلاثة في العربية الفصحى، أحدها مفخم وثانيها أقل تفخيماً وثالثها مرقق. ومع ذلك لم يعن واضعوا الرموز العربية بهذا، بل وضعوا لكل أولئك خطأً يوضع فوق رمز الحرف الصحيح قلما يستعمل في أيامنا هذه إلا في ظروف خاصة<sup>(152)</sup>.

وإننا نرى أن الدكتور تمام حسان قد تحامل في رأيه هذا على الخليل، فالفتحة صوت يستحق أن يكون له رمز خاص به مثله مثل صوت الباء والتاء والكسرة، ولكن ذلك لا يعني أن نجعل رمزاً خاصاً لكل تلوين صوتي، فالتفخيم والترقيق ألوفونات لا تغير معنى الكلمة، فهي لم تصل إلى مرتبة الفونيم حتى يكون لها رمز خاص بها، ولو طبقنا كلام الدكتور على جميع أصوات العربية لاحتجنا إلى ما يفوق الخمسين رمزاً كتابياً.

### 3-3-2- الاقتراحات.

سنتوقف في هذا المطلب عند بعض الاقتراحات الجدية في طرحها لتيسير الكتابة العربية وتطويرها، وهي كما ذكرنا سابقاً اقتراحات وضعها بعض اللغويين في العصر الحديث، وكانت الذروة لها عام 1944م، عندما أعلن مجمع اللغة العربية عن مسابقة لتيسير الكتابة العربية، فانهالت الاقتراحات من جميع الأمصار العربية، ولكن أحدها لم ير النور، فقرر المجمع الإبقاء على محاولة تحسين الكتابة شرط الحفاظ على شكل الحرف العربي<sup>(153)</sup>، والمشاريع التي سنعرضها هي:

1- مشروع المؤرخ يوسف العث (ت 1967م): إذ قدم سنة 1944م مشروعاً لتسهيل الكتابة العربية، وكان مشروعه يخص جزءاً من معالجة الصوائت القصيرة، ولم يكن مشروعاً شاملاً لجوانب الكتابة العربية عامة، فقد اقترح أن تُدبّل الحروف النهائية بعلامة تكميلية (من بنية الحرف نفسه)، ووظيفة هذه العلامة الدلالة على علامات الإعراب والبناء<sup>(154)</sup>.

152 - حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ص7.

153 - حجازي، 1982م، ص 129.

154 - حجازي، 1982، ص 145.

وما ينقص هذه المحاولة أنها عالجت جانباً صغيراً من جوانب المشكلة، فلم يشر الباحث إلى وضع الصوائت القصير في وسط الكلمة، أو إلى التمييز بين الواو والياء الصامتتين وأختيهما الصائنتين.

2- مشروع إبراهيم الإبياري (ت 1994م): وهو مؤرخ كذلك، مصري، قدم عام 1958 مشروعاً لتيسير الكتابة العربية، من خلال حل مشكلة الصوائت القصيرة والطويلة، فقد اقترح أن تكتب الصوائت القصيرة باستخدام الرموز (ا، و، ي) أما الصوائت الطويلة فتدون بالرموز نفسها وفوقها علامة دالة على المد<sup>(155)</sup>.

وهذا الاقتراح - على جدته في عصره ومناسبته للغاية التي وضع من أجلها، وهي تسهيل الحرف العربي طباعياً في المرتبة الأولى - يقع في ما وقع فيه القدامى، فهم استعملوا الرموز (ا، و، ي) للصوائت الطويلة مرة وللهمزة والواو والياء الصوامت مرة أخرى، أما الباحث فقد استخدمها للتعبير عن ثلاثة أقسام مختلفة بدل اثنين، وهي الصوامت سابقة الذكر والصوائت الطويلة والقصيرة، إن ميّز بين نوعي الصوائت بالمدة.

3- مشروع يونس عبد الرزاق السامرائي (ت 2001م): ومشروعه مطبوع بكتيب سنة 1955م<sup>(156)</sup>، ويقوم على كتابة الحروف العربية منفصلة لتحافظ على شكل ثابت لا يتغير حسب موضع الحرف في الكلمة، وقد استخدم رموزاً للكسرة والضمة ضمن سياق الكلمة، وميز الهمزة من الألف الصائنة، بأن جعل رمز الهمزة أينما وقعت (ء) على السطر، إلا أنه لم يميز بين الواو والياء الصامتتين والصائنتين، ونرى أن مشروعه كان الأكثر تكاملاً بين المشروعات المقدمة آنذاك، ولكنه لم ينتشر ربما لضعف الإمكانيات، وعدم وضوح بعض تفاصيل مشروعه؛ لأنه وضع جميع الأمثلة بخط اليد الذي يقلل من وضوح الكلمات إذا ما قورن بالخط الطباعي.

155 - حجازي، 1982م، ص 150.

156 - يونس عبد الرزاق السامرائي، تيسير الكتابة العربية، مطبعة دار المعرفة، ط1، بغداد، 1955م.

### 3-4- رأينا في التمثيل الكتابي الموروث للصوائت العربية وما نقترحه في سبيل تطويره:

الكتابة العربية كما يعلم الجميع بحاجة للكثير من العمل؛ لتطويرها وتلافي نواقصها، وتيسيرها للمتعلمين، وسنكتفي هنا بإبداء رأينا بالكتابة العربية في جانب الصوائت وما يخصها دون الصوامت، التي تعترتها هي الأخرى بعض النواقص، على أنها لا تصل إلى مرتبة الصوائت في مشكلاتها، فعلى حين تكمن مشكلة الصوامت العربية في تعدد صور الحرف الواحد بحسب موقعه في الكلمة، الأمر الذي كان يعد مشكلة عويصة في أواسط القرن الماضي، بسبب ما يخلفه ذلك من صعوبات في طباعة الكتب والجرائد، فإنّ هذا الأمر قد تم تجاوزه في عصر الحاسوب، ولم يعد ذا أهمية كما كان، الأمر الذي جعل اللغويين يكتفون بما سبق من محاولات لإيجاد الحلول لها، والتوجه صوب الصوائت، وفيما يأتي نورد رأينا في التمثيل الكتابي للصوائت:

#### 3-4-1- الرأي.

1- تمثيل الصوائت القصيرة بحركات توحى بأنها عوارض تصيب الحرف، وهي تثبت مرة وتحذف مرات، أمر لا يمكن قبوله في علم اللغة الحديث، الأمر الذي جعل من تعليم العربية عملية غاية في الصعوبة على المعلم والمتعلم على حد سواء، خاصة في مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها، فكيف يمكن للمتعلم الأعجمي أن يميز بين (كتب الطالب) و(كتب الكتاب) دون وضع الصوائت التي قلبت المعنى من المبني للمعلوم إلى المجهول.

2- كان الأجدد بعلمائنا القدامى، عندما شرعوا في تحسين الكتابة العربية، أن ينظروا للصوائت نظرة جدية، ويضعون الرموز الكتابية المناسبة لها، بما يجنبنا كل هذا العناء، ولكننا من ناحية أخرى نلتمس لهم العذر لسببين، **الأول**: أن العمل الذي قاموا به كان فتحًا عظيمًا في عصرهم، وفق ما نشؤوا عليه من منطق لغوي، يعد الصوائت هي أصول الكلمات، فالأولى الاهتمام بها وعدم مزاحمتها برموز أخرى في سياق الكلمة. وأما **الثاني**: فإنه يكمن في جدة تدوين الصوائت قياسًا بالصوامت، فالأبجديات الأولى تكاد تتفق جميعها على الاكتفاء بتدوين الصوامت، ومن هذا المنطلق كان يجب على الأجيال اللاحقة للخليل أن تواصل عملية تطوير الحرف العربي؛ لينسجم مع متطلبات كل مرحلة، غير أننا نجد بلاد العرب كانت تتردى أوضاعها مع مرور الزمن مما جعل الناس تقصر في طلب العلم ومتابعة تطويره.

3- إن الفراهيدي لما وجد التشابه والخلط في رسم رمز الألف، الذي استعملوه مرة للتعبير عن صوت الهمزة، ومرة أخرى للتعبير عن صوت الفتحة الطويلة، وضع رمز الهمزة (ء) للتمييز بين الهمزة والفتحة الطويلة، غير أنه أهمل المسألة ذاتها في رمزي الواو والياء، مع الأخذ بالحسبان أنه ميز بين صوت المد (الصائت) وصوت اللين (الصامت)، فهذا الإهمال لم ينتج عن جهل بكل تأكيد، ولدينا تفسير قد يكون ذا قيمة في ذلك، فالقدمي كما نعلم يعتقدون بوجود حركة قبل حرف المد، وهذا الاعتقاد قد جعلهم يظنون أن الفرق بين الواو في (قَوْل) وبينها في (يقول) إنما يكمن في الحركة السابقة للواو لا في الواو نفسها، فلما سبقت بفتح أصبحت عندهم صوت لين (نصف صامت عند بعض المحدثين)، ولما سبقت بضم أصبحت صوت مد (صائت)، وبناءً على ذلك فصوت الواو لم يتغير بذاته وإنما بتأثير صوت سابق في السياق، فجعلوا رمز الواو الصامته والصائتة واحدًا، وكذلك فعلوا مع الياء.

والآن ننقل لرأينا في محاولات تيسير الكتابة العربية في العصر الحديث:

1- ركزت الكثير من المحاولات عملها على إصلاح الحرف العربي طباعياً، بصرف النظر عن موضوع تعبير الحروف عن جميع أصوات اللغة، فالطباعة العربية قديماً كانت مكلفة جداً بسبب تعدد صور الحرف العربي وعدم إمكانية ضبطه بالشكل في المطابع، أما اليوم فقد تخلصنا من هذه المشكلة باستخدام الحاسوب، وأصبحت الطباعة العربية المضبوطة أمراً يسيراً.

2- ليس من الضروري أن يضع مقترح واحد حلولاً لجميع مشكلات الخط العربي، وعليه يمكن قبول المحاولات التي تصلح جانباً معيناً من جوانبه، على ألا يخل ذلك باتصال التراث، وفي النهاية تكثر المحاولات لإصلاح جميع أوجه النقص، ليتم التنسيق بين هذه المحاولات جميعها وإنتاج شكل ميسر للكتابة العربية.

3- أصبح من الصعب اليوم قبول أي تجديد جذري للكتابة العربية بعد هذا الزمن الطويل، وأي تجديد، ناهيك عن الاعتراضات التي ستواجهه، سيكون أمام معضلة نقل كل ما كتب سابقاً إلى الأسلوب الجديد، الأمر الذي إن كان صعباً سابقاً فإنه أشبه بالمستحيل اليوم، وإن أغفلنا كل ما تم نشره بالأسلوب القديم، فإننا سنكون بعد عقد أو اثنين أمام جيل لا يجيد قراءة تلك الكتب، لذلك واستناداً

لما ذكرناه في الملحق الأول يجب أن يكون أي إصلاح لا يمس الشكل العام للكتابة العربية،  
والاكتفاء بتعديلات بسيطة لإصلاح مشكلات الصوائت.

3-4-2- الاقتراح.

يتركز اقتراحنا لتيسير الكتابة في موضوع محدد، واستنادًا إلى الملاحظات التي سقناها سابقًا، نقول  
إننا ههنا لسنا في معرض إحداث ثورة في إصلاح الأبجدية العربية، فنحن من المؤمنين بأن ذلك سيؤدي  
إلى أضرار أكثر من الفوائد المرجوة منه، والموضوع الذي نود أن ندلي برأينا فيه هو الواو والياء المديتان  
(الضمة والكسرة الطويلتان)، وقد أشرنا إلى أن الفراهيدي قد ميز كتابيًا بين الهمزة والفتحة الطويلة، لكنه  
أهمل التمييز بين الواو والياء الصامتتين وأختيهما الصائنتين، ونحن في هذا المقترح نقتبس شيئًا من مشروع  
المؤرخ يوسف العث الذي ذكرناه في مطلب سابق، والذي كان يقوم على تذييل الحروف النهائية بعلامات  
تدل على علامات الإعراب والبناء، ولكننا سنضع هذا التذييل في حرفين فقط دون غيرهما، وهما الضمة  
والكسرة الطويلتان، فنضيف لبنية الحرف ذيلًا يشبه علمة المد بعض الشبه، غير أنه متصل بالحرف هكذا  
( و ، ي ) للتمييز بينهما وبين الواو والياء الصامتتين، اللتين ستبقيان على شكلهما المعروف.

### 3-5- نتائج الفصل الثاني:

- 1- تعد بداية الكتابة العربية أمر لا يمكن البت به بشكل نهائي، فالروايات القديمة -في الغالب- تحوي الكثير من الخرافات والأساطير، التي يرفضها المنهج العلمي.
- 2- تبقى فرضية أن الكتابة العربية اشتقت من الخط النبطي المتأخر؛ أقرب الفرضيات إلى المنطق، تؤيدها النقوش الجاهلية التي عثر عليها كلها تقريباً في مناطق نفوذ الأنباط.
- 3- نرجح أن يكون للأنبار دور مركزي في تطوير الكتابة العربية في مرحلة لاحقة لبدئها، وفي منظورنا، يكمن دور أهل الأنبار في تحسين شكل الخط وجعله مناسباً بشكل أكبر للكتابة اليومية، وليس للنحت فقط والأغراض الجمالية أو الدينية.
- 4- انتشر الخط المسند الحميري على نطاق واسع في الجزيرة العربية، ومما لا شك فيه أن العرب الشماليين استعملوه في مرحلة من مراحل تاريخهم، حتى نضج الخط العربي، وهذا يؤدي بنا إلى القول بأن الخط النبطي المتأخر ليس الوحيد الذي أثر في نشأة الخط العربي، بل إن للمسند أيضاً تأثيراً يظهر بوضوح في الخط الكوفي.
- 5- بعد استقرار الكتابة العربية في القرن الثاني الهجري، وإلى يومنا هذا؛ ما تزال محاولات تيسير الكتابة قائمة، والسبب الأول في هذه المحاولات، خصوصاً في ما يخص الصوائت، أن الكتابة العربية تستعمل الرموز ذاتها للصوائت الطويلة والصوامت، وإنما نرى أن هذا الأمر غير شاذ إلى هذه الدرجة، فجميع اللغات اللاتينية تستعمل الحرف (a) للتعبير عن صائت في وسط الكلمة، وعن صوت الهمزة في بداية الكلمة.



#### 4- الصوائت العربية: قضايا وظيفية

يقول تمام حسان في كلامه على القيم الخلافية في اللغة: "ومن أهم القيم الخلافية في أي نظام لغوي اختلاف الوظيفة التي تؤديها كل واحدة من وحدات النظام وهي التي نطلق عليها (المعنى الوظيفي)، وفي حالة النظام الصوتي العربي بالذات تقوم الوظيفة أو المعنى الوظيفي أولاً وقبل كل شيء بالتفريق بين طائفتين متباينتين من الأصوات إحداهما الصاح والأخرى العلل، ومعنى ذلك أن للصاح وظيفة تختلف عن وظيفة العلل"<sup>(157)</sup>، ثم يعدد وظائف كل من الصوامت والصوائت في النظام اللغوي العربي<sup>(158)</sup>، فمن الوظائف التي يذكرها للصوامت أنها تكون أصولاً للكلمات، ولا تكون الصوائت كذلك، ومن وظائفها أيضاً أنها تكون بداية للمقاطع الصوتية بخلاف الصوائت، وكذلك أن الصوامت تقبل التحريك والإسكان بعكس الصوائت التي لا تقبل تحريكاً ولا إسكاناً، وعلى الرغم من أن تمام حسان يعد من منطري علم اللغة العربية الأوائل في العصر الحديث، إلا أنه يقع في مغالطة هنا، وذلك قد يكون بسبب التأثير برأي القدامى في هذا الباب، فالحرف الساكن حرف لم يثله صائت، أما الحرف المتحرك فحرف صامت تبعه صائت، ومع الأخذ بالحسبان أن كلاً من الصوامت والصوائت أصوات لغوية متساوية في القيمة؛ نجد أن الحركة والسكون في علم الأصوات الحديث لا وجود لهما البتة.

أما الصوائت فوظائفها مختلفة عن وظائف الصوامت، ويذكر من وظائفها: قوة الإسماع، وكونها أساساً للتفريق بين المواد الاشتقاقية، فالصوائت هي التي تعدد المشتقات من أصل واحد، ومن وظائفها أيضاً أنها تشكل مركز المقطع الصوتي العربي، وأنها تصلح وحدها أن تكون علامة إعرابية.

وانطلاقاً من هذه الوظائف التي عددها تمام حسان رأينا أن نقسم الكلام على وظيفة الصوائت إلى

ثلاثة أقسام:

#### 4-1- الوظيفة النطقية:

وجدت اللغات عموماً لإيجاد طريقة سهلة للتواصل بين أفراد الجنس البشري، ولا يمكن تخيل نظام لغوي مستخدم لا يعتمد على الصوائت في رصف أصواته، فالصوائت تؤدي مهمة جليلة في اللغة العربية

157 - حسان، 1994م، ص 68.

158 - ينظر: ، 1994م، ص 68-72.

حيث تعتبر أساساً لقوة الإسماع (sonority) في هذه اللغة الراسخة القدم في تاريخ المشافهة<sup>(159)</sup>، ولما كانت الصوائت أوسع الحروف مخرجاً -كما رأينا عند الخليل وسيبويه وابن جني- كان لها ذلك التأثير في وضوح الصوت وارتفاعه، وإيضاح صوت الصامت المجاور، وفي ذلك يقسم عبد الرحمن أيوب الأصوات اللغوية إلى ستة أقسام من حيث قوة الإسماع<sup>(160)</sup>، وهي أصوات عديمة الإسماع وهي الانحباسية المهموسة، وأصوات قوة إسماعها (1)، وهي الانحباسية المجهورة، وأصوات قوة إسماعها (2)، وهي الاحتكاكية المهموسة، وأصوات قوة إسماعها (3)، وهي الاحتكاكية المجهورة، وأصوات قوة إسماعها (4)، وهي الأنفية والجانبية المجهورة والترددية المجهورة، وأصوات قوة إسماعها (5)، وهي أقوى الأصوات إسماعاً، هي الأصوات المجهورة التي يخرج الهواء معها من الفم دون عوائق، وهي موضوع بحثنا، إذن فالصوائت أقوى الأصوات إسماعاً، وهي لا تكون قوية في الإسماع بمفردها، بل تقوي ما يجاورها كذلك، فالكاف -وهي أضعف الأصوات إسماعاً- في كلمة "دعاك" مثلاً، أقوى إسماعاً منها في كلمة "دَعُكُم"، لأن الأولى مسبوقة بفتحة طويلة وتتلوها فتحة قصيرة، أما الثانية فهي مسبوقة بحرف العين وتتلوها ضمة قصيرة، وليست كل الصوائت ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي، بل منها الأوضح، فالفتحة أوضح من الضمة والكسرة<sup>(161)</sup>.

ولا يمكن سبك الكلام بعضه ببعض، ولا الأصوات بعضها ببعض إلا بالدمج بين الصوامت والصوائت، فالصامت لا يمكن نطقه بدون صائت، والصائت لا نتصور وجوده بدون صامت، فالصامت عبارة عن جسم روحه الحركة، وإذا كنا لا نتصور حياةً لجسم بلا روح، فإننا كذلك لا نتصور وجوداً لروح بلا جسم<sup>(162)</sup>، فسياق الكلام لا يقوم إلا بوجود العنصرين معاً، الصوامت والصوائت، والصوائت هي التي تسهل عملية الانتقال من صامت لآخر، ألا ترى أن العربية لا تقبل النقاء ساكنين، ذلك أن نطق الصوامت متتالية دون صائت يربط بينها أمر غاية في الصعوبة، يكاد يخلف في الحلق غصة، ولنا في بعض اللغات الأجنبية التي تقبل بذلك خير مثال، ففي الألمانية مثلاً قد تأتي ثلاثة صوامت متواليات دون صائت، ولكن

159 - حسان، 1994م، ص 71.

160 - أيوب، 1968م، ص 135-136.

161 - حفي ناصف، حياة اللغة، مطبعة جامعة القاهرة، ط2، 1958م، ص 18.

162 - د. مكي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب، وهران، 2005م، ص 72.

نطقها صعب جداً، وهو كذلك يسلب الصوت كثيراً من خصائصه كما في كلمة (Angstschweiß) الألمانية التي تحوي ستة صوامت متتالية دون صائت.

هذا على مستوى الصوت، أما على مستوى الكلمة الواحدة، فللصوائت وظيفة صوتية فيه كذلك، وهذه الوظيفة هي الوحدة الصوتية، أو الفونيم، الذي يشكل بترادف الفونيمات الكلمة ذات المعنى أو المورفيم، ويؤدي تغيير الصائت في الكلمة إلى معنى آخر، وهذا ما سندرسه في المبحث القادم.

وما دنا في حيز الوظيفة الصوتية للصوائت؛ فيجدر بنا التطرق لوظيفة علامات الإعراب الصوتية، ذلك أننا سنخصص مبحثاً لوظيفتها الدلالية، وعلامات الإعراب بصرف النظر عن وظيفتها الأولى، وهي توجيه المعنى، تقوم بوظيفة صوتية لا تقل أهمية عن الأولى، ووظيفتها الصوتية هنا لا تعنى بتكوين الكلمة، بل بسياق الكلام، فالكلام العربي حال وصله يحتاج إلى الصوائت لتسهيل هذه العملية، والمثال الحي الذي بين أيدينا على ذلك هو القرآن الكريم، الذي تبرز في تلاوته القيمة الصوتية للصوائت القصيرة خصوصاً في وصل الكلام بعضه ببعض، "آيات القرآن الكريم تشهد بأن العربية قائمة على الوصل بين ألفاظها حال النطق. وأن حركة الحرف الأخير من الكلمة (العلامة الإعرابية) تحقق هذا الوصل الصوتي بين الكلمات حال النطق بها"<sup>(163)</sup>.

#### 4-2- الوظيفة الدلالية:

سنعرض في هذا المبحث لوظيفة الصوائت الدلالية، وهي الوظيفة التي تقوم بها علامات الإعراب، وعلامات الإعراب جميعها صوائت، سواء أكانت قصيرة أم طويلة، باستثناء النون في باب الأفعال الخمسة، وقد عد القدماء الحركات (الصوائت القصيرة) علامات إعراب أصلية، والصوائت الطويلة علامات فرعية عليها، ويرى مهدي المخزومي أن علامات الإعراب ثلاثة فقط، إذ يقول: "وليس في العربية غير هذه الحركات الثلاث دوال على المعاني الإعرابية"<sup>(164)</sup>، وإذا أخذنا كلام المخزومي بظاهره فسنعده خطأ بين، ولكن المتعمق فيه سيراه صحيحاً بحكم ما بين الصوائت القصيرة والطويلة من قرب وصفات واحدة، على

<sup>163</sup> - د. سعاد بسناسي، التحولات الصوتية والدلالية في المباني التركيبية، عالم الكتب الحديث، ط1، إريد، 2012م، ص 35.

<sup>164</sup> - مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، 1986م، ص68.

أن العلامات الإعرابية ليست القرينة الوحيدة على معاني الكلام، فقد رأينا في بحثنا التجريبي الموسوم بقرائن العمدات في كتب النحاة؛ أن معاني الإعراب تتأتى من تصافر مجموعة من القرائن لتحديد المعنى أو الباب.

#### 4-2-1- الدلالة:

الدلالة لغةً: "دلّه على الشيء يدلّه دلًّا ودلالةً فاندلّ: سده إليه"<sup>(165)</sup>، والدلالة عند ابن منظور بفتح الدال وكسرها، غير أن الفتح أولى: "وقد دله على الطريق يدلّه دلالة ودلالة ودلولة، والفتح أعلى"<sup>(166)</sup>.

اصطلاحًا: وهي إما لفظية وإما معنوية، وهي "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"<sup>(167)</sup>، ولابن جني كلام تفصيلي في أنواع الدلالة، في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية، إذ يقول: "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاثة مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"<sup>(168)</sup>، فإذا كان للفظ المكون من أصوات دلالة، فلعلامات الإعراب -وهي أصوات لغوية- دلالة كذلك، فنراها تدل على الفاعل والمفعول وما إلى ذلك.

ويمكن تقسيم الوظيفة الدلالية للصوائت إلى أقسام ثلاثة، أولها: الدلالة النحوية، وثانيها: الدلالة الصرفية، وثالثها: الدلالة المعجمية.

#### 4-2-2- الوظيفة الدلالية في النحو:

والكلام هنا على الوظيفة التي تؤديها علامات الإعراب في توضيح المعنى، وأمن اللبس، وسن فصل القول فيها كونها الأكثر حظوة بالدرس عند القدامى والمحدثين.

#### 4-2-2-1- دلالة علامات الإعراب عند القدامى:

نكاد نجد شبه إجماع عند النحاة القدامى على أن الإعراب يدل على المعنى، فالذي دعا إلى إدخال الإعراب في الكلام -عند الزجاج- أن "الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ

<sup>165</sup> - ابن منظور، (دون تاريخ)، ج16، ص 1414، مادة (دل).  
<sup>166</sup> - ابن منظور، (دون تاريخ)، ص 1414.

<sup>167</sup> - علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح. محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مادة (دل).  
<sup>168</sup> - ابن جني، (دون تاريخ)، ج3، ص 98.

عن هذه المعاني<sup>(169)</sup>، وذلك "ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني"<sup>(170)</sup>، فعلامات الإعراب عند الزجاجي وسائر النحاة القدامى؛ أعلام على المعاني، فالرفع علم الفاعلية، أو الإسناد، والنصب علم على المفعولية، والجر على الإضافة، وإن كنا نقر بدلالة علامات الإعراب على المعاني، فإننا لا نوافق هذا الرأي الذي ينحو بالمسألة منحى متطرفاً، فيجعل العلامات أعلاماً على المعاني، فكيف يكون الرفع علماً على الإسناد ونرى المسند في باب "إن" وأخواتها، والمسند في "كان" وأخواتها منصوبين، وكذلك نرى أن النصب يشمل الكثير من الأبواب النحوية، فكيف حُصَّ بالمفعولية دون ما سبق، أو دون الحالية مثلاً، ومن هنا جاء اعتراض قطرب، الذي خالف جمهور النحاة في رأيهم هذا، وينقل الزجاجي قوله: "لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني، والفرق بين بعضها وبعض، لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة في المعاني، وأسماء مختلفة في الإعراب متفقة في المعاني... فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني، لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه لا يزول إلا بزواله، وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطنون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان، ليعتدل الكلام"<sup>(171)</sup>، ورأي قطرب أقرب إلى المنهج الحديث منه إلى القديم، غير أنه يقوم على تناقض جعل النحاة القدامى يرفضونه، إذ لو كان الهدف من الإعراب وصل الكلام لا غير فلماذا لم يستعملوا حركة واحدة كالفتحة في جميع كلامهم<sup>(172)</sup>، وإننا نرى أن كلاً من الفريقين قد نحا نحواً متطرفاً في رأيه، فلا الإعراب وضع لإيضاح معاني الكلم فقط، ولا كما ادعى قطرب بأنه وضع لغاية وصل الكلام فقط، وإنما الأمر شيء من هذا وشيء من ذلك، فلا يختلف اثنان على وظيفة علامات الإعراب في إيضاح المعنى وأمن اللبس، وقد رأينا في قصة أبي الأسود الدؤلي مع الأعرابي الذي لحن في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(173)</sup>، فلولا الإعراب لانقلب معنى الآية رأساً على عقب، ومع هذا فنحن لا ندعي بأن إيضاح المعنى هو الوظيفة الوحيدة لعلامات الإعراب، فإن شيئاً مما جاء به قطرب صحيح أيضاً، إذ أفادت هذه العلامات في وصل الكلام،

169 - أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح. د. مازن المبارك، دار النفائس، ط3، بيروت، 1979م، ص 69.

170 - الزجاجي، 1979م، ص 70.

171 - الزجاجي، 1979م، ص 70.

172 - ينظر: الزجاجي، 1979م، ص 71.

173 - التوبة: 3

وتسهيله على المتكلم من الانقطاع والسكنات بين الكلمات، ومما سبق نجد أن الرأي السديد في هذه المسألة يقوم على التوفيق بين رأيي الفريقين، اللذين تناول كل منهما جانباً وأهملاً الآخر.

#### 4-2-2-2-2- دلالة علامات الإعراب في العصر الحديث:

كما انقسم القدامى في دلالة علامات الإعراب؛ انقسم المحدثون كذلك، ففريق منهم التزم مذهب القدامى فأعطى الإعراب كل الاهتمام في الدلالة على المعاني، ونذكر منهم عباس حسن في كتابه النحو الوافي، وعبد الراجي في التطبيق النحوي، وفاضل السامرائي في مجموعة من المؤلفات منها الجملة العربية والمعنى، إذ يؤكد الدكتور السامرائي على هذه الدلالة فيقول: "إن القول بأن الإعراب إنما هو للدلالة على المعاني المختلفة حقيقة لغوية ليس فيها شك فيما نرى"<sup>(174)</sup>، ولم ينح هؤلاء اللغويون هذا المنحى تقليدًا للقدامى فقط، وإنما فعلوا ذلك لما رأوه من لغة العرب التي وصلتنا بصورتها الأولى، كالقرآن الكريم والشعر الجاهلي، والتي تحوي الكثير من الشواهد التي يتغير معناها إذا أغينا الإعراب، أو غيرناه، والقراءات القرآنية المختلفة شاهدة على ذلك.

أما فريق المنكرين لوظائف الإعراب، فيتزعمه إبراهيم أنيس، الذي اقتفى أثر قطرب في ذلك، وهو يذهب أبعد مما ذهب إليه قطرب، إذ ينكر أن العرب كانت تعرب كلامها، ويقول إن الإعراب كان ظاهرة خاصة عند مجموعة من الناس، يقول: "الإعراب كما نعرفه لم يكن إلا مسألة مواضعة بين الخاصة من العرب، ثم بين النحاة من بعدهم، ولم يكن مظهرًا من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب"<sup>(175)</sup>، وهو يستدل على ذلك ببعض الأبيات الشعرية التي يوجد فيها إقواء، فالشاعر -في نظره- لا يلحن وهو من الخاصة إلا إن كان يستعمل لغة يومية غير تلك التي يكتب بها شعره، ويتبع إبراهيم أنيس مذهب قطرب في نفيه أي دور دلالي للإعراب، ويجعل منتهى وظيفته وصل الكلام، وسهولة لفظه، وقد بينا رأينا في ذلك عند الحديث عن آراء القدامى، فالمسألة ليست وجود ونفي، وإنما توفيق بين وظيفتين، إحداها دلالية، والأخرى صوتية.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى فريق ثالث من المحدثين، يتزعمه الدكتور تمام حسان، والذي يرى بوجود الوظيفة الدلالية لعلامات الإعراب دون المغالاة فيها، وقد تناولنا رأيه بشيء من التفصيل في بحثنا سابق الذكر قرائن العمدات في كتب النحاة، وملخص رأيه يقوم على فكرة تضافر القرائن، فعلامات الإعراب ما هي إلا قرينة من مجموع من القرائن التي تحدد بتضافرها المعنى المراد، وهذه القرائن منها المعنوي ومنها اللفظي، فأما القرائن المعنوية فهي الإسناد والتعدية والملابسة والظرفية وغيرها، وأما القرائن اللفظية فهي

174 - فاضل السامرائي، II، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2000م. ص 34.

175 - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، القاهرة، 1992م، ص 76.

العلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والربط والتضام والتنغيم، يقول: "إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم (تضافر القرائن) وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها"<sup>(176)</sup>، والإعراب عنده مرتبط بالمستويات اللغوية كلها، يقول: "يتوقف إعراب نص ما على وظائف الأصوات، ووظائف المباني، ووظائف القرائن، ونظام العلاقات، فلا يفصل في الذهن بين كل ذلك إلا لأغراض التحليل اللغوي، أما في التركيب فلا فصل"<sup>(177)</sup>، إذن فقد ذهب تمام حسان مذهباً توفيقياً، فلم ينكر دلالة الإعراب، وكذلك لم يجعل الإعراب علماً وحيداً على المعاني المختلفة.

#### 4-2-2-3- دالات علامات الإعراب:

أجمع معظم القدماء ومن تبعهم من المحدثين على أن الضمة أو الرفع يدل على الإسناد، وأن النصب يدل على المفعولية، والجر على الإضافة، وفيما يأتي سنعرض لهذه الدالات وفق هذا المنهج، مع تأكيدنا على أن هذه العلامات ما هي إلا قرينة من عدة قرائن تشكل بتضافرها المعنى المراد.

#### 4-2-2-1- دلالة الضمة على الإسناد:

جعل القدماء الضمة علماً على الإسناد، يقول سيبويه: "والمبتدأ والمبني عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه. فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه"<sup>(178)</sup>، فالرفع يدل على الإسناد، كما في المبتدأ والخبر والفاعل ونائبه، فإذا ما نظرنا إلى المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل، وجميعها مسند إليه؛ سنجدها في الحقيقة شيء واحد، فهي مرفوعة بعلاقة الإسناد، ودلالاتها كذلك واحدة، فإذا قلنا: "الزجاج انكسر" أو "انكسر الزجاج" أو "كُسِرَ الزجاج"، دلت جميع هذه الجمل على معنى واحد في العموم، مع الأخذ بالحسبان أن البلاغيين قد فرقوا بين هذه التراكيب، وعليها بنى الجرجاني نظرية النظم، ولكن ما يهمنا هنا هو المعنى العام لهذه الجمل، والتي تساوت في كون "الزجاج" مسند إليه مرفوع، وإذا ما فصلنا الأمر سنجد كلاً من هذه المرفوعات شيئاً واحداً، فالفاعل ونائب الفاعل متساويان في المعنى، كما في المثالين السابقين، حتى أن الكثير من النحاة قد عقدوا باباً واحداً لهما معاً، فهذا سيبويه يقول: "هذا باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ولم يتعده فعله إلى مفعول آخر، والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع الفاعل كما يرتفع المفعول... فأما الفاعل الذي لا يتعده فعله فقولك: ذهب زيدٌ. والمفعول الذي لم يتعده فعله... فقولك: ضُربَ زيدٌ"، من هذا المقتبس يتضح لنا مساواة سيبويه بين الفاعل ونائبه،

176 - حسان، 1994م، ص 207.

177 - حسان، 1994م، ص 185.

178 - سيبويه، 1982م، 2/ 126.

أما المبتدأ والفاعل، فقد وضع النحاة بينهما ضوابط صناعية لا تغير في معنى منطوق العربية، ففي قولهم: جاء زيدٌ، وزيدٌ جاء، جعلوا زيداً في الأولى فاعلاً وفي الثانية مبتدأً، وذلك أنهم رفضوا تقدم الفاعل على فعله، في الوقت الذي أعطوا المبتدأ فيه الحرية في التقديم والتأخير بوجود قرينة<sup>(179)</sup>، وقد وقع النحاة - برأينا - في التناقض عندما المبتدأ حال عدم ذكره محذوفاً، فيما جعلوا الفاعل عندئذٍ مستتراً، وهذا تناقض بين عندنا، ففي المثال الذي يورده ابن هشام في شرحه للألفية "ويقال: كيف زيدٌ؟ فتقول: دَنَفٌ... [أي] هو دَنَفٌ"<sup>(180)</sup>، وهو يسوق هذا المثال على حذف المبتدأ، أم إن أجبنا على السؤال بصيغة فعلية قلنا "دَنَفٌ"، لكان الفاعل مستتراً، وليس محذوفاً، وهنا موطن الاعتلال، فهذه قواعد سنّها النحويون ولا أثر لها على الكلام المنطوق.

إذن فالرفع علامة على الإسناد، وإن قال قائل: فإننا قد نرى مسنداً أو مسنداً إليه منصوبين، وذلك في باب "إنَّ" و"كان" وأخواتهما، نقول: إن اسم كان وأخواتها مبتدأ في الأصل، وتغير علامته مع "كان" لا يغير من الأمر شيئاً، لأن الأصل فيه الابتداء والرفع عليه.

#### 4-2-2-3-2- دلالة الكسرة على الإضافة:

الكسرة عند القدامى علم على الإضافة، سواء أكانت مباشرة نحو: "كتاب العلم"، أو كانت بالحرف نحو: "كتاب العلم"، ولا تكون الكسرة في غير هذين الموضعين، إلا إن كان ذلك في باب التوابع، وهذه عبارة سيبويه في الإضافة: "والجر إنما يكون في كل اسم مضاف إليه، واعلم أن المضاف إليه ينجر بثلاثة أشياء: بشيء ليس باسم ولا ظرف، وبشيء يكون ظرفاً، وباسم لا يكون ظرفاً"<sup>(181)</sup>، فالشيء الأول هو الجر بحرف الجر، والثاني الجر على الإضافة بعد الظروف، والثالث الإضافة بعد الاسم النكرة، أما أبو العباس المبرد فإنه يجعل الإضافة على ضربين: "هذا باب الإضافة، وهي في الكلام على ضربين: فمن المضاف إليه ما تضيف إليه بحرف جر، ومنه ما تضيف إليه اسماً مثله"<sup>(182)</sup>، وهو هنا يجعل المضاف إليه بعد ظرف وبعد الاسم الذي ليس بظرف شيئاً واحداً، وهذا أسلم في رأينا من زيادة الفروع والتفصيلات الدقيقة، والتي لا تغير من حقيقة المنطوق شيئاً، فالظرف في نهاية الأمر اسم كباقي الأسماء، غير أنه يحمل معنى الظرفية.

179 - ينظر: الزمخشري، 2004م، ص 47-48.

180 - ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تد. محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص 217.

181 - سيبويه، 1982م، 1/209.

182 - الجزء الرابع ص 451 من المخطوط رقم 2348 بمكتبة الجامعة المصرية، نقلاً عن إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص 53.

#### 4-2-2-3-3- الفتحة والخلاف فيها:

اختلف القدماء في تحديد المعنى الذي يفيدته النصب، فقالوا الفتحة علم المفعولية، وقالوا بل هي علم الفضلة، جاء في الهمع في الكلام على ناصب المفعول به: "وقال خلف: معنى المفعولية، أي كونه مفعولاً... وقولي: وقيل: ينصب الكل تشبيهاً به أشرت به إلى ما ذكره أبو حيان في شرح التسهيل"<sup>(183)</sup>، ويقول الأستراباذي: "وجعل الرفع الذي هو أقوى الحركات للعمد، وهي ثلاثة: الفاعل والمبتدأ والخبر. وجعل النصب للفضلات... وإنما جعل للفضلات النصب الذي هو أضعف الحركات وأخفها لكون الفضلات أضعف من العمد وأكثر منها"<sup>(184)</sup>، ففي كلام السيوطي ينقل كلام خلف بأن النصب علم للمفعولية، ثم يسوق كلام أبي حيان الذي يقول بأن المنصوبات الأخرى قد نصبت تشبيهاً لها بالمفعول به، أما الأستراباذي فيرى أن النصب علامة على الفضلات، كما أن الرفع علامة على العمد، وهذا الاضطراب يقودنا إلى رأي حديث يقول بأن الفتحة ليست لها دلالة خاصة، يقول إبراهيم مصطفى: "الفتحة لا تدل على معنى كالضمة والكسرة، فليست بعلم إعراب؛ وإنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، التي يحبون أن يشكل بها آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام؛ فهي في العربية نظير السكون في لغتنا العامية"<sup>(185)</sup>.

وهذه المحاولة على ما فيها من إبداع وتأمل من صاحبها؛ غير أنها تركز على العلامة الإعرابية كما فعل القدامى، وقد انتقدها تمام حسان -كما انتقد القدامى- من هذا المنطلق، يقول: "ولإبراهيم مصطفى محاولة مشابهة لتفسير اختلاف العلامات الإعرابية قال فيها إن الحركات ذات معان محددة فالضمة علم الإسناد والكسرة علم الإضافة والفتحة علم الخفة ولكنه اكتفى بهذا الفهم القاصر لطبيعة هذه الحركات وهو فهم يبدو قصوره وإبهامه إذا وضعناه في ضوء ما ذكرنا... أن العلامة الإعرابية ليست أكثر من واحدة من قرائن كثيرة"<sup>(186)</sup>.

#### 4-2-2-4- تطبيقات على دلالة علامات الإعراب:

1- ما أحسن زيد: تحتل هذه الجملة ثلاثة أوجه: التعجب والإخبار بالنفي، والاستفهام، فنطقها دون إعراب يشكل على السامع، ولا يتبين المعنى المراد منها إلا بإعرابها، والإعراب سيفصح عن معناها، إذ الإفصاح هو معنى الإعراب لغةً، فإن قلنا: "ما أحسن زيداً" قصدنا التعجب، وهذا أحد أوزانه القياسية.

183 - جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تد. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، ج3، ص 7- 8.

184 - الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تد. حسن الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ص 51.

185 - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014م، ص 55.

186 - حسان، 1994م، ص 185- 186.

وإن قلنا: "ما أحسن زيد" دلت الجملة على نفي الإحسان عن زيد. وإن قلنا: "ما أحسن زيد" كانت استفهاماً عن أحسن ما في زيد.

2- قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(187)</sup>: إن اختلاف الإعراب في هذه الآية من شأنه أن يغير المعنى المراد إلى معنى مخالف تماماً، والكلام هنا على كلمة "كل"، فهي اسم منصوب على الاشتغال، أو مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور، والتقدير: "إننا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر"، أي إن الله الذي خلق كل شيء في الكون قد خلقه بقدر، والرفع لا يعبر عن المعنى ذاته، فلو وردت "كل" بالرفع لما دلت على العموم، وإنما قد تدل على أن الله خلق بعض الأشياء -حاشا لله- وهذه الأشياء التي خلقها، خلقها بقدر<sup>(188)</sup>.

3- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(189)</sup>، تعد قرينة العلامة الإعرابية في هذه الآية غاية في الأهمية، فالفعل يخشى تلاه المفعول به مباشرة، وتأخر الفاعل إلى آخر الآية، فالرتبة لم تكن محفوظة بين الفاعل والمفعول، وتغيير العلامة الإعرابية بينهما يؤدي إلى فساد المعنى، فلو رفعنا الهاء ونصبنا الهمزة لأصبح المعنى أن الله ﷻ يخاف العلماء، جلّ الله عن ذلك، وإنما جاءت العلامة الإعرابية بنصب الهاء ورفع الهمزة لتبين أن الذي يخاف من الله أكثر من غيره إنما هم العلماء الذين يعرفونه حق معرفته، وأما القراءة الشاذة برفع الهاء ونصب الهمزة، فلم نجد لها في القراءات العشر، وقد عللها الزمخشري بأن "يخشى" فيها استعارة على معنى "يُجِلُّ"<sup>(190)</sup>، ولسنا معنيين بذلك إذ قرأ القراء العشر بتأخير الفاعل، وفيه يكون الفعل على أصله بمعنى "يخاف".

#### 4-2-3- الوظيفية الدلالية في الصرف:

تلعب الصوائت الدور الأبرز في تغيير الصيغ الصرفية والاشتقاقية، وقد أغفل القدامى هذا الدور، وجعلوا اهتمامهم منصباً على الدور النحوي كما رأينا، فالكلمة العربية وإن كانت أصولها الصامتة واحدة في جميع اشتقاقاتها، غير أن ما يعطيها التنوع الاشتقاقي هو الصوائت، كما في الفعل (كَتَبَ) إذ تؤدي إطالة الصائت الأول إلى تحويل الفعل الثلاثي إلى فعل مزيد على وزن المفاعلة (فَاعَلَ)، والتغيير ذاته إن صاحبه

187 - القمر: 49

188 - ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، ط1، عمان، 2000م، ج1، ص 32-33.

189 - فاطر. 28.

190 - الزمخشري، تفسير الكشاف، تد. خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط3، بيروت، 2009م، ص 886.

كسرة بعد التاء قلب الفعل إلى الصيغة الاسمية، على صيغة اسم الفاعل، ويرى الدكتور زيد القرالة أن الفتحة الطويلة في (قال) ناتجة من جمع فتحتين قصيرتين بعد فاء الكلمة وعينها، وذلك بعد حذف عين الكلمة وبقاء حركتها<sup>(191)</sup>، وهذا مرفوض عندنا، فلو كان الأمر كذلك لأصبح وزن الكلمة (قال) وليس (فعل).

#### 4-2-4- الوظيفة الدلالية في المعجم:

قد يؤدي تغير صائت واحد في الأفعال الثلاثية خصوصاً إلى تغير المعنى المعجمي للفعل، وقد ذكرنا في مدخل هذا البحث جهود قطرب النحوي في هذا الباب، الذي ألف في موضوع المثلاث، وهي ألفاظ تتطابق من ناحية الصوامت، وتختلف فيما بينها بصائت واحد غالباً، وهذا التغير يؤدي إلى تغير في المعنى، كما وجدنا في المدخل (الغمر، الغمر، الغمر)، و(العلاقة، العلاقة، العلاقة). وقد اكتفينا بهذا القدر البسيط من ذكر الوظيفة الدلالية في بابي الصرف والمعجم للإشارة إليها لا أكثر، مكتفين بما فصلناه من الوظيفة الدلالية في النحو.

#### 4-3- الوظيفة الإيقاعية:

لما اتسعت مخارج الصوائت؛ أصبح من السهل مد الصوت بها، ومن هذا الباب أصبح لهذه الصوائت أهمية كبرى من الناحية الموسيقية، فاستغل ذلك منشدو الشعر والمغنون منذ الجاهلية، وبعد الإسلام وعناية المسلمين بتلاوته وتجويده، أصبح المد من أحكام التجويد المعروفة، وله ضوابط تحده وتعين مدته، وسنقسم الحديث هنا إلى قسمين اثنين، نتناول في الأول دور الصوائت في إنشاد الشعر، وفي الثاني المد في القرآن: 4-3-1- في الشعر:

جاء في الكتاب: "أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو وما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت وذلك قولهم [لامرئ القيس]: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... وإنما ألحقوا هذه المدة في حروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترنم، فألحقوا كل حرف الذي حركته منه"<sup>(192)</sup>، وكلام سيبويه هنا على مد حرف الروي، سواء أكان ذلك في الكلمات المنونة أو غير المنونة، وقد أكد السيرافي هذه الأهمية التي حازتها الصوائت في الشعر، إذ يقول معلقاً على نص سيبويه: "وأما قوله: (لأن الشعر وضع للغناء والترنم)،

191 - زيد خليل القرالة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2004م، ص 38.

192 - سيبويه، 1982م، ج4، ص 204-206.

فهو من أصح الكلام وذلك أن الغناء يحتاج إلى ألحان موزونة ونغم منظومة تكرر على مقادير من الحروف ... فلما كان موضوع الشعر للغناء والترنم احتاجوا إذا ترنموا إلى الحروف التي يمد فيها الصوت وهي الألف والواو والياء... لامتداد الصوت في هذه الحروف<sup>(193)</sup>، وإذا كان كلام سيبويه مقتصرًا على الترنم في وصل حرف الروي، فإن السؤال هنا كيف كانوا يترنمون إذا كانت القافية مقيدة؟ وجوابه: "يجوز أن يكون الترنم به قبل حرف رويّه لأنه ليس جميع حروف البيت يقع عليه المد والنغمة، وإنما تقع النغمة والتمديد ببعضه على حسب الطريق الذي يسلكونه فيه"<sup>(194)</sup>، فالترنم أو مد الصوائت ليس خاصًا بوصل حرف الروي، بل قد يكون في حشو البيت، وكلام أبي سعيد هذا يحمل معاني هامة جدًا في منظور علم اللغة الحديث، وندعي أن كلامه هذا هو الأساس لظاهرة التنغيم في العصر الحديث، على أنه خص الشعر بكلامه، والتنغيم كما نعرفه اليوم يشمل جميع أشكال الكلام المنطوق، أما جملته الأخيرة "على حسب الطريق الذي يسلكونه فيه" فإننا نرى أنه قصد بها اختلاف نغمة الصوت بحسب حال المتكلم، فالنغمة تختلف ويمكن أن تعبر عن حزن أو فرح أو قوة، كما تختلف النغمة بين الاستفهام والتعجب والنفى وما إلى ذلك.

فإذا عدنا إلى بيت امرئ القيس في مطلع معلقته، الذي ذكر شرطه سيبويه<sup>(195)</sup>: [الطويل]

**قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

وبيته الآخر في وصف الليل من القصيدة ذاتها<sup>(196)</sup>:

**ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثل**

إذا عدنا لهذين البيتين والمقاطع التي تضمها في المعلقة، وأجرينا عملية إحصائية بسيطة، سنلاحظ ما يأتي:

في مطلع القصيدة حيث يقف الشاعر على الأطلال ويبيكي فراق الأحبة، في هذه الحالة من الحزن والشوق جاء البيت الأول وفيه سبعة صوائت طويلة، وهي الأقدر على التعبير عن التوجع والانتحاب الذي يناسب حالة الشاعر، ليس هذا فحسب، بل إذا ما انتقلنا إلى أبيات المقدمة الطللية كلها؛ سنجد هذه الأبيات الثمانية تضم مجموعها خمسة وخمسين صائناً طويلاً، بحيث لا تقل عن خمسة صوائت في البيت الواحد،

193 - أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تح. أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2008م، 78/5.

194 - السيرافي، 2008م، 78/5.

195 - ديوان امرئ القيس، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة، (دون تاريخ)، ص8

196 - ديوان امرئ القيس، (دون تاريخ)، ص18.

وبالانتقال إلى بيته المذكور سابقاً في وصف الليل، وهو في هذا المقطع من القصيدة يعبر عن ضيقه من الوقت وهذا مرجعه إلى حالة الحزن التي يعيشها، فإنه يستعمل في ذلك البيت ستة صوائت طويلة، أما مقطع وصف الليل بمجمله فقد ضم واحداً وثلاثين صائناً طويلاً موزعة على خمسة أبيات.

الآن وبعد هذا الإحصاء لننظر إلى وصف الحصان في القصيدة ذاتها<sup>(197)</sup>:

### مَكْرٌ مَفْرٌ مَقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَه السَيْلُ مِنْ عَل

هذا البيت في وصف الحصان وقوته وسرعته في الإغارة، يعبر عن فخر الشاعر بحصانه، وهو هنا في مقام قوة وفخر يليق به الحزم في الكلام والأصوات كذلك، فلا يوجد فيه إلا صائتان طويلتان، أحدهما وصل حرف الروي والآخر هو الوحيد في الحشو، وذلك على حساب كثرة الصوائت القصيرة، التي تعطي إيقاعاً سريعاً للبيت يتناسب مع سرعة الحصان.

والصوائت بقسميها القصيرة والطويلة هي الأصوات الأكثر دوراناً في الكلام العربي، ويرى المستشرق هنري فليش أن الفتحة هي الأكثر دوراناً من أختيها<sup>(198)</sup>، لختها في النطق وقد رفض ذلك الدكتور مكي درار مؤكداً على خصوصية السياق في نسبة الشيوخ: "أن نعود بالنظر إلى عدد الضمات في سورة الإخلاص والكسرات في سورة الناس، ففي كل سورة يشيع صائت أكثر من غيره"<sup>(199)</sup>، فالمسألة عند الدكتور مكي ليست مسألة خفة وثقل، بل سياق يستدعي أحد الصوائت أكثر من غيره، ولننظر في الأبيات الآتية لأبي تمام<sup>(200)</sup>:

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| وَدُمُوعٌ لَيْسَ تَحْتَبِسُ  | نَفْسٌ يَحْتَتُّهُ نَفْسٌ      |
| عُطِلَ مِنْ عَهْدِهِ دَرَسُ  | وَمِغَانٍ لَلْكَرَى دَثْرُ     |
| نَاطِقَاتٍ بِالْهَوَى خُرْسُ | شَهْرَتٍ مَا كُنْتَ أَكْتَمُهُ |

197 - ديوان امرئ القيس، (دون تاريخ)، ص 19.

198 - هنري فليش، العربية الفصحى - نحو بناء لغوي جديد-، تر. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، ط1، بيروت، 1966م، ص 36.

199 - مكي درار، تداعيات التعاقب والاستبدال الصوتي في تثليث عناصر المباني المعجمية الإفرادية، مجلة الصوتيات، حولية أكاديمية محكمة، تصدر عن مخبر الصوتيات العربية الحديثة، جامعة محمد دحلب، البلدة- الجزائر، العدد 3، 2007م، ص 131.

200 - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح. محمد عبده عزام، دار المعارف، مج4، ط3، القاهرة، ص 224.

فشيوع الضمة في هذه الأبيات لم يكن ثقيلًا، بل إنه جاء منسجمًا مع الإيقاع والجرس معًا<sup>(201)</sup>، متناغمًا مع الصوامت المستعملة في الأبيات، كما أن صوت الضمة الضيق الخلفي جاء متماشيًا مع معاني الأبيات وما تحمله من بكاء ونشيج وأنفاس سريعة.

4-3-2- في القرآن الكريم:

القرآن أرقى نص أدبي على الإطلاق، وظف كل إمكانيات الصوت اللغوي، خصوصًا القدرة على التنعيم والتصوير، بهدف بلوغ أقصى تأثير ممكن في المتلقي، فغدا الصوت فيه صورة متميزة للتناسق الفني، ومظهرًا من مظاهر تصوير معانيه، وصورة يتجلى فيها إعجازه الأسلوبي والبياني الرفيع، لذا كان وقع القرآن على السامع لا يجري وفق نمط واحد رتيب، بل يتنوع بتنوع الموضوع، فتارةً يكون إيقاعه هادئًا كالنسيم، وأخرى يكون هادرًا مزمجًا، فهو يتلون إيقاعيًا يتلون الأغراض الدلالية، ومن هنا جاء الأمر الإلهي بترتيله على أحسن وجه، ليعطى كل صوت فيه حقه في التأثير وخدمة السياق، وقد وضع علماء القراءات قواعد ثابتة لتجويد القرآن، تحدثوا فيها عن الإدغام والإخفاء والقلقلة وغير ذلك، ولعل أبرز ما اشتغلوا به هو المد وأنواعه ودرجاته في تلاوة القرآن، فالمد ظاهرة لغوية بارزة في القرآن الكريم، وقد أولاها علماء اللغة والقراءات عناية خاصة، وفصلوا فيها وبينوا أنواعها، سواء أكان ذلك في أماكن المد، في كلمة واحدة أو في كلمتين، أم كان المد لازمًا أو عارضًا، والمد هو إطالة الصوائت الطويلة عند النطق بها، وذلك زيادة عن المعتاد في نطق هذه الأصوات، وله درجات أقلها حركتان وهو المد الطبيعي، وتصل إلى ست حركات في المد المشبع<sup>(202)</sup>.

يعد وقوع الصوائت قبل الهمزة أو السكون أحد الأسباب الرئيسة في حدوث المد، ويرى ابن جني أن المد يتمكن مع الهمز، "وإنما تمكن المد فيهن مع الهمز أن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طُلن، وشِعن في الصوت، فوفين له، وزدن في بيانه ومكانه وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدد"<sup>(203)</sup>، فهو يرى أن مد الصوائت الطويلة قبل الهمز والتشديد يجعل هذه الصوائت لدنات ناعمات مستطيلات وليس الأمر كذلك إذا كان المد قبل

201 - سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، ط1، بيروت، 1991م، ص 77.

202 - ينظر: غانم قدوري الحمد، الميسر في علم التجويد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ط1، جدة، 2009م، ص 114.

203 - ابن جني، (دون تاريخ)، 3/ 125.

حرف آخر غير الهمز والتشديد، على أن الأمر ليس في جمالية وليونة الصوائت ممدودة، بل إنه لتسهيل النطق بضدين، فبسبب المد هو "الحرص على صوت اللين [الصائت] وطوله لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام، لأن الجمع [بينهما] كالجمع بين متناقضين"<sup>(204)</sup>، وإذا كان هذا هو السياق العام للمد، فما طبيعة هذا السياق؟ وما خصائص صوت الهمزة والتشديد التي تزيد في مد الصوائت؟

الهمزة صوت حنجري انفجاري، وتعد من أصعب الأصوات نطقاً، ف"عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تتفرج فتحة المزمار فجأة فيُسمع صوت انفجار، هو ما نعبر عنه بالهمزة"<sup>(205)</sup>، وهي بهذا الوصف تمر بمرحلتين، تكون الأولى بإغلاق فتحة المزمار بانطباق الوترين الصوتيين ومنع الهواء من الخروج، وتتم الثانية بانفراج الوترين فجأة، ويرى ابن سينا أن الهمزة تحدث من حفز قوي من الحجاب، وعضلات الصدر لهواء كثير<sup>(206)</sup>، والدليل على صعوبة نطق الهمزة أنّ العرب تميل إلى تخفيفها، إذ تُنطق بين بين، كما كانت تفعل قريش، ومن هذا الباب كان وجود جزء من الصوائت الطويلة في الكلم العربي، وذلك إذا توالى همزتان في الكلمة، فإنهم أبدلوا الثانية صائتاً طويلاً للتخفيف من عبء نطق همزتين متواليتين، نحو "إيمان" التي أصلها "إئمان"، و"أخذ" وأصلها "أأخذ"، فعند توالي الهمزتين سهلت الثانية واستبدلت صائتاً طويلاً بمد الصائت القصير التالي للهمزة الأولى، وهذا المد يجعل الإيقاع الصوتي للمقاطع متوازناً في الكلمة.

ولا بد هنا من ذكر بعض التفاصيل في المقاطع العربية، والمقطع مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة<sup>(207)</sup>، وقد قسمها إبراهيم أنيس إلى مقاطع مفتوحة ومغلقة، وهي على خمس درجات من الطول، فالمفتوحة هي التي تتكون من صامت وصائت قصير أو طويل، وهذان هما الأقصر، وأما المغلقة فتتكون من صامتين يتوسطهما صائت قصير أو طويل، أو صامت فصائت قصير فصامتين<sup>(208)</sup>، وهذا أطول المقاطع العربية، وهو قليل ولا يرد إلا في الوقف.

204 - أنيس، 1975م، ص 158.

205 - أنيس، 1975م، ص 77.

206 - ابن سينا، 1982م، ص 72.

207 - أيوب، 1968م، ص 139.

208 - أنيس، 1975م، ص 163.

وبعد هذا العرض نرى أن مد الصوائت الطويلة زيادة عن نطقها المعتاد؛ يؤدي إلى تغيرات في المقطع ونوعه، ويزيد في مستوى النبر فيه، ويكون سبباً رئيساً في إحداث النبر، فيغير بذلك بنية الكلمة، ويعيد توزيع النبر في الكلمة أو الجملة، وهذا يؤثر في السياق العام للكلام، لأن النبر يؤثر في ضبط إيقاع الكلمات، كما يؤدي إلى الوضوح السمعي وارتفاع الصوت، ويرى تمام حسان أن النبر الذي يحدث بفعل المد إنما هو نبر سياقي تأكيدي وهذا النبر السياقي أقوى من النبر الصرفي لأن الأخير يقع على مستوى الكلمة المفردة وربما اقتصر الأمر فيها على مقطع واحد منبور، فلا تتسم بسمة الإيقاع، وأما السياق الاستعمالي فإنه يحرص على إظهار موسيقى اللغة<sup>(209)</sup>، إذن فالنبر الذي يحدثه المد يعطي اللغة طابعها الخاص في الإيقاع الموسيقي لها.

وقد يختلف طول المد بحسب السياق الصوتي للكلمات، فالمد في الكلمات الآتية "جاء أحدهم، الصائمين، الملائكة، إسرائيل، أولئك"، مد متصل بست حركات، غير أن الأداء الصوتي يخالف ذلك، إذ ورد عن خلف أن حمزة كان يقصر المد المتصل في "الملائكة وخائفين وإسرائيل" عنه في "جاء أحدهم" ولكنه يطيل المد فيها أكثر مما يطيله في "أولئك"<sup>(210)</sup>، فالكلمات الخمس حقهن المد المشبع بست درجات، لكن حمزة جعل المد أطول ما يمكن في "جاء أحدهم"، ثم أقصر من ذلك في "الملائكة، خائفين، إسرائيل"، وأخيراً جعل المد أقصر من سابقه في "أولئك"، ولا يقدر الدكتور استثنائية تفسيراً لهذا الاختلاف، وهو الذي خصص كتابه للظواهر الصوتية في القراءات، والسبب عندنا يعود إلى سياق الكلمات التي ورد المد فيها، فالمد الأطول جاء في سياق خالٍ من الكسرة، بل جاء منسجماً بالتناوب بين الفتحة القصيرة والطويلة، وهذا ادعى لأن يمد، وأما الكلمات الثلاث المتوسطات في المد فإن الهمزة فيهن جاءت مكسورة، واجتماع همز وكسر أدى إلى قصر المد عن كلمة لا تحوي كسراً، وأما الثالثة "أولئك" فقد اجتمع فيها همزتان وكسر وكاف، أي ثلاث وقفات وكسر، وهذا الاجتماع للأصوات الانفجارية يقصر حتماً من طول الصوت.

قسم القراء المد إلى درجات، وهي القصر وهو نطق الصائت الطويل على أصله، ومقداره حركتان، والمد المتوسط والمد المشبع<sup>(211)</sup>، وهذا التقسيم ينوع النغمة والإيقاع في الآيات، وذلك كله خاضع للسياق،

<sup>209</sup> - ينظر: حسان، 1994م، ص 306-307.

<sup>210</sup> - سمير شريف استثنائية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديثة، إربد، 2005م، ص 132-133.

<sup>211</sup> - الحمد، 2009م، ص 114-115.

فالإيقاع في حالة الدعاء يختلف عنه في حالة التحذير والوعيد، وقد "استخدم القرآن الكريم الإيقاع المناسب لأجواء كل سورة من سوره، فهناك آيات كريمة تمتاز بالإيقاع السريع، وأخرى تمتاز بإيقاع بطيء وحزين، وهذا التنوع يتناسب مع معاني الآيات ومضامينها"<sup>(212)</sup>، ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا خَفِيَ وَمَا تُعَلِّمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(213)</sup>، نجد الإيقاع الذي يطلق في جو الدعاء والصراعة والخشوع والإنابة كما في قوله تعالى، إيقاعاً بطيئاً متموجاً رخيئاً، مناسباً لمضمون الآيات"<sup>(214)</sup>، وإذا عدنا للآية سنجدها على قصرها تحوي سبعة صوائت طويلة (مد طبيعي)، وثلاثة مدود بين متصل ومنفصل، وهذا الإيقاع البطيء المترخي يناسب سياق التسليم لله والدعاء، أما في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(215)</sup> قال سكاوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لأعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموح فكان من المغرقين"<sup>(215)</sup>، فإن الإيقاع هنا مختلف عن الآيات السابقة، فهو طويل وعميق يشترك في رسم الهول لجو الطوفان والرعب، والمدات المتوالية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق"<sup>(216)</sup>، فالآيتان السابقتان تزرخان بالمد الطبيعي (الصوائت الطويلة)، الأمر الذي أوجد إيقاعاً ثقيلاً معبراً عن الضيق والفرع من هول الحدث من ناحية، وعن الخوف والجزع الذي يحمله نوح عليه السلام على ابنه الذي بقي مع المغرقين.

من خلال هذا العرض وجدنا أن حروف المد تحمل الكثير من المعاني الصوتية في القرآن الكريم، وتنوع الإيقاع والنبر في الآيات بما يناسب مضمونها وسياقها، "ولا يخفى على أحد ما للإيقاع من دور مهم في رسم الجو الخاص الذي تهدف إليه كل آية، مما يزيد وضوحاً وجلالاً، كما يحقق جمال الأداء والإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وبخاصة في قصار السور، فكأنها أحجام متساوية في كل شيء"<sup>(217)</sup>، ولنا في سورة النصر خير مثال، فالصوائت فيها تقدم مثلاً صريحاً لكل ما قدمنا الكلام فيه، إذ تبدأ السورة بصائت طويل

212 - حمدان رضوان أبو عاصي، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية)، مج 17،

عدد 2، 2009م، ص 77.

213 - إبراهيم. 38.

214 - أبو عاصي، 2009م، ص 77.

215 - هود. 42، 43.

216 - أبو عاصي، 2009م، ص 78.

217 - أبو عاصي، 2009م، ص 78.

ومده طبيعي، يليه مباشرة مد متصل في كلمة "جاء"، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(218)</sup>، وهذا السياق يشعر السامع بحدوث أمر طال انتظاره، ألا وهو الفتح، وهذا مستخلص من المد المشبع الوارد في كلمة "جاء"، ثم نجد الآية الثانية خالية من المد المتوسط أو المشبع، فكان الإيقاع سريعاً خفيفاً، يناسب إقبال الناس على الإسلام من كل حدب وصوب، يأتون وفوداً متتالية، لا ممامطة فيها ولا تأخير.

لقد كان لتجويد القرآن أثر بارز في تدبر آياته وفهم سياقاته من خلال القواعد التي وضعها القراء لهذا التجويد، مراعين المقام الصوتي للكلمة والسياقي للكلم.



#### 4-4- نتائج الفصل الثالث

- 1- للصوائت على قلتها عددًا أهمية بارزة في نسيج الكلام وسبكه بصورة تسهل النطق به، وهذه الوظيفة الصوتية موجودة على مستوى الكلمة الواحدة، وعلى مستوى النص.
- 2- تستعمل الصوائت في الدلالة على معاني الإعراب، وهذه الدلالة ليست الوظيفة الوحيدة لها كما رأى القدماء، بل هي واحدة من وظائفها، مع الإشارة إلى أن العلامة الإعرابية لا تعدو كونها واحدة من قرائن متعددة تشكل بتضافرها المعنى المراد للباب.
- 3- تلعب الصوائت القصيرة والطويلة دورًا بارزًا في ضبط إيقاع النص الأدبي الراقى، ففي القرآن تغير المدود من مواضع النبر، وسرعة الإيقاع بما يتناسب مع سياق الآيات. أما في الشعر، فإن الصوائت وخصوصًا الطويلة تشكل المرتكزات التي يبنى عليها الإيقاع والنغم، وذلك إذا أخذنا في الحسبان أن الشعر إنما وضع أول الأمر للإنشاد والترنم.

## 5- الخاتمة

لقد تناولنا في هذا البحث الصوائت العربية، من خلال نظرة شاملة لكل جوانبها، بدءًا بالشكل النطقي وانتهاءً بالوظيفة، فالصوائت قسيمة الصوامت في بناء الكلم العربي، وشريكها في تكوين الصوت اللغوي، لا وجود لأحدهما إذا انعدم الآخر، وقد شبههما بعض الباحثين بالروح والجسد، اللذين لا وجود لأحدهما دون الآخر.

وقد بدأنا البحث بفصل في لفظ الصوائت، مناقشين مخارج هذه الأصوات وصفاتها وما يصيبها من تخميم وترقيق، مراعين في كل ذلك رأي اللغويين، القدامى منهم والمحدثين، متناولين آراءهم بالنقد العلمي، سواء أنفقنا معهم أم خالفناهم، ثم ناقشنا في الفصل الثاني المظاهر الكتابية للصوائت العربية، وتناولنا فيه بدايات الكتابة العربية، والروايات التي يلفها الغموض حول نشأتها، وقد ميزنا ما يقبله المنهج العلمي منها مما يرفضه، ثم انتقلنا إلى جهود اللغويين في القرنين الأول والثاني الهجريين في تطوير الكتابة، هذا التطوير الذي كان تركيزه بالمطلق على الصوائت، ولو أنهم أهملوا الصوائت الطويلة، وعدوا القصيرة زوائد تصيب الصوامت، ثم توقفت محاولات التطوير والتيسير عند ذلك العصر، حتى جاء القرن العشرين، عصر الطباعة والصحافة، إذ وجد المعنيون بالشأن الثقافي صعوبة بالغة في استخدام المطابع العربية، نظرًا لاختلاف صور الحرف الواحد حسب موقعه في الكلمة، الأمر الذي أدى كثرة الرموز الطباعية المستخدمة بشكل كبير عن نظيرتها المستخدمة في الطباعة الأجنبية، فنظم مجمع اللغة العربية مسابقات لتطوير الكتابة العربية، واستقبل المجمع محاولات من جميع الأمصار العربية رُفضت بمجملها، إما لاعتمادها على الحرف اللاتيني الذي يؤدي استخدامه لقطع ماضي الأمة بحاضرها ومستقبلها، أو لأنها خالفت النظام العام للكتابة العربية ولم تراع ظواهرها الصوتية واللغوية، وقد قدمنا في نهاية الفصل مقترحًا بسيطًا للتمييز بين الواو والياء الصامتتين وأختيهما الصائنتين، من شأنه أن يضع حدًا للخلط بين المستويين، أما في الفصل الثالث فقد ناقشنا القضايا الوظيفية للصوائت، مفصلين القول في وظيفتها النطقية التي تكمن في تسهيل نطق الصوامت والوضوح السمعي الذي تضفيه على ما يجاورها من أصوات، خصوصًا وأن العربية ترفض تجاوز صامتتين دون صائت بينهما طال أم قصر، إلا في حالة الوقف، ثم بحثنا في الوظيفة الدلالية، التي أولاهها القدامى كل

الاهتمام والعناية، فقد عدوا الصوائت القصيرة علامات إعراب أصلية والطويلة علامات فرعية عليها، وهذه العلامات عندهم أعلام على المعاني الإعرابية، فالرفع علم على الإسناد أو العمد، والجر علم على الإضافة، والنصب علم على المفعولية، أو على الفضلات، هذا الرأي الذي خالفهم فيه المحدثون، إذ رأى بعضهم أن الإعراب ما هو إلا ظاهرة استعملها الخاصة من العرب وتبعهم فيها النحاة، ورأى غيرهم من الباحثين المحدثين أن العلامة الإعرابية تدل على المعنى ولكنها ليس العلم الوحيد عليه، بل إن هذه العلامات مجرد قرينة يستعان بها من ضمن مجموعة من القرائن الأخرى، اللفظية والمعنوية، تشكل بتضافرها المعنى النحوي، وأنهينا هذا المبحث بذكر بعض التطبيقات الإعرابية، التي تبين قيمة العلامة الإعرابية في الدلالة على المعنى، ولو اختلفت العلامة في هذه الأمثلة لانقلب معنى الجملة فيها، وختمنا الفصل بالكلام على الوظيفة الإيقاعية التي تؤديها الصوائت في تلاوة القرآن وإنشاد الشعر والترنم به، ووجدنا أن المد في تلاوة القرآن يغير من مواضع النبر في الآيات، الأمر الذي يجعل الإيقاع متناسباً مع السياق الصوتي والمعنوي للآيات، أما في الشعر، فإن الصوائت تعين على إنشاده وغنائه، وهي بذلك تسهم في جمالية الغاية التي من أجلها وجد الشعر، وهي الترنم به، كما تعد الصوائت مرتكزاً لعلم العروض وموسيقى الشعر، تحدد أوزانه وإيقاعاته.

وإننا لا ندعي الكمال في بحثنا، بل نسعى لسد النواقص التي تعتري كل جهد إنساني، وهذا البحث ليس إلا خطوة في طريق طويل، نأمل أن يأتي في قادم الأيام من يتلافى نواقصه، ويقوم عوجه، يرأب صدعه، ونقترح في هذا المقام على كل باحث في هذا المجال، أن يفيد من كل تجربة سبقته، ومن كل جهد بذل في سبيل تقصي حقيقة الأصوات العربية، وفهم كنهها، وتطويرها بما يسهل عملية نشر لغتنا العربية على نطاق واسع، وقد وضعنا بين يدي القارئ مقترحاً من شأنه أن يسهم في إزالة اللبس بين الصوائت والصوامت، يقوم على فكرة تذييل الواو والياء الصائنتين بعلامة تميزهما عن أختيهما الصامتتين، ولا يخيل للقارئ أننا بهذا المقترح ندعي بأننا أحطنا بالمشكلة من جوانبها كافة، بل هو مقترح نرجو أن يأتي من يبني عليه ليضع نظرية متكاملة لتطوير الكتابة العربي، وهذا هو هدفنا المنشود.

ومن الحسن أن نوصي المؤسسات التعليمية في هذا البلد الإسلامي، بتكليف الباحثين بأمر تيسير الكتابة العربية، فالأمر يمس تعليم العربية لغير الناطقين بها أكثر ما يمس أصحاب اللغة أنفسهم، وتأتي توصيتنا هذه بناء على ما لمسناه من المؤسسات التعليمية في تركيا ومن القائمين عليها، من حب للغة

العربية، ورغبة بارتقائها لمكانة عالية بين اللغات، كما نوصي طلبة العلم والباحثين بالتبحر في هذا العلم، علم الأصوات، لما فيه من فوائد جمة في تقويم اللسان والنهوض بهموم لغتنا بشكل جدّي.

والله ولي التوفيق.

تم بعونه تعالى

.2021/02/07



## ثبت المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- استيتية، د. سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط1، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، 2003.
- 3- استيتية، د. سمير شريف، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، إريد، عالم الكتب الحديثة، 2005م.
- 4- الأستراياذي، شرح الرضي على الكافية، تح. حسن الحفظي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- 5- إسماعيل، أ.د. فاروق، الوجيز في اللغة العبرية القديمة، ط1، حلب، دار الفرقان للغات، 2011م.
- 6- الأصفهاني، حمزة بن الحسن، التنبيه على حدوث التصحيف، تح. محمد أسعد طلس، دمشق، مجمع اللغة العربية بدمشق، 1968م.
- 7- ديوان امرئ القيس، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، القاهرة، دار المعارف.
- 8- الأنباري، أبو بكر، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح. محي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، منشورات مجمع اللغة العربية، 1971م.
- 9- الأنباري، أبو البركات، أسرار العربية، تح. د. محمد راضي محمد مذكور ووائل محمود سعد عبد الباري، الكويت، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار 95، 2015م.
- 10- الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ط3، بيروت، دار الشرق العربي.
- 11- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م.
- 12- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط8، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992م.
- 13- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ط2، القاهرة، مطبعة الكيلاني، 1968م.
- 14- بسناسي، د. سعاد، التحولات الصوتية والدلالية في المباني التركيبية، ط1، إريد، عالم الكتب الحديث، 2012م.
- 15- بشر، كمال، علم اللغة العام، ط7، القاهرة، دار المعارف، 1980م.
- 16- بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القاهرة، دار غريب، 1998م.
- 17- بشر، كمال، علم الأصوات، القاهرة، دار غريب، 2000م.

- 18- البلاذري، أبو العباس، فتوح البلدان، تح عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف.
- 19- البلوي، أبو الحجاج، ألف باء، (مخطوط)، القاهرة، المطبعة الوهبية، 1870م.
- 20- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح. محمد عبده عزام، مج4، ط3، القاهرة، دار المعارف.
- 21- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، معجم التعريفات، تح. محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة.
- 22- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن هندراوي، ط2، دمشق، دار القلم، 1993م.
- 23- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح. محمد علي النجار، القاهرة، المكتبة العلمية.
- 24- الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، تح. مصطفى السقا وآخرون، ط1، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، 1938م.
- 25- الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1956م.
- 26- حجازي، د. محمود، اللغة العربية عبر القرون، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1968م.
- 27- حجازي، د. محمود فهمي، تيسير الكتابة العربية، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر)، العدد الخامس، 1982 م.
- 28- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م.
- 29- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1994م.
- 30- الحلبي، إلياس، القاموس النادر دليل إلى مواضيع اللغة العربية ومعانيها في شتى المجالات، تد: جوزيف شهدا.
- 31- حمد، د. سالم قدوري، التفخيم في أصوات العربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 19، العدد9، أيلول 2012م.
- 32- الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، ط1، عمان دار عمار، 2004م.
- 33- الحمد، غانم قدوري، الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية، ط1، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، 2009م.
- 34- الحمد، غانم قدوري، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط1، بغداد، الجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15 الهجري، 1982م.
- 35- الحمد، غانم قدوري، علم النقط والشكل، عمان، دار عمار، 2016م.

- 36- الحمد، غانم قدوري، الميسر في علم التجويد، ط1، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، 2009م.
- 37- أبو حمدان، سمير، الإبلاغية في البلاغة العربية، ط1، بيروت، منشورات عويدات الدولية، 1991م.
- 38- الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، علق عليه: د. محمد بن عبد المعطي، الرياض، دار الكيان.
- 39- ابن خلدون، كتاب العبر، تد. يوسف أسعد داغر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1956م.
- 40- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تد. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1978م.
- 41- الداني، أبو عمرو، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، ط2، دمشق، دار الفكر، 1997م.
- 42- الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، تد. خلف حمود الشغلي، ط1، حائل، دار الأندلس، 2015م.
- 43- داود، محمد محمد، الصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001 م.
- 44- درار، د. مكي، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، وهران، دار الأديب، 2005م.
- 45- درار، مكي، تداعيات التعاقب والاستبدال الصوتي في تثليث عناصر المباني المعجمية الإفرادية، مجلة الصوتيات، حولية أكاديمية محكمة، تصدر عن مخبر الصوتيات العربية الحديثة، جامعة محمد دحلب، البليدة- الجزائر، العدد 3، 2007م.
- 46- ابن درستويه، كتاب الكتاب، تد. إبراهيم السامرائي، عبد الحسين الفضلي، ط1، الكويت، دار الكتب الثقافية، 1977م.
- 47- ابن دريد، جمهرة اللغة، ط1، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، 1345هـ.
- 48- الرازي، محمد بن أبي عبد القادر، الصحاح، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، ط 2001.
- 49- الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تد. د. مازن المبارك، ط3، بيروت، دار النفائس، 1979م.
- 50- الزمخشري، أبو القاسم، المفصل في علم العربية، تد. فخر صالح قدارة، ط1، عمان، دار عمار، 2004م.
- 51- الزمخشري، تفسير الكشاف، تد. خليل مأمون شيحا، ط3، بيروت، دار المعرفة، 2009م.

52- زيدان، يوسف، مقالة على الشبكة، الرابط: [https://hibastudio.com/arabic-and-  
/masnad](https://hibastudio.com/arabic-and-/masnad)

- 53- السامرائي، فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2000م.  
54- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ط1، عمان، دار الفكر، 2000م.  
55- السامرائي، يونس عبد الرزاق، تيسير الكتابة العربية، ط1، بغداد، مطبعة دار المعرفة، 1955م.  
56- سرحان، محمد، مقال بعنوان: اللغة العربية المبسطة، الرابط على الشبكة العالمية:

<https://io.hsoub.com/culture/>

- 57- سيوييه، أبو بشر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1982م.  
58- السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيوييه، تح. أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008م.  
59- ابن سينا، أبو علي الحسين، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح. محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، ط1، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م.  
60- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تح. عبد العال سالم مكرم، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992م.  
61- السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، تح. شعيب الأرنؤوط، ط1، دمشق، مؤسسة الرسالة، 2008م.  
62- شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، دار القلم، 1966.  
63- الصولي، أبو بكر، أدب الكتاب، تح. محمد بهجة الأثري، بغداد، المكتبة العربية.  
64- الصيغ، عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط1، دمشق، دار الفكر، 2007م.  
65- ابن الطحان، الإنباء في تجويد القرآن الكريم، حاتم صالح الضامن، منشور في مجلة الأحمدية، دبي، العدد 4، 1999م.  
66- أبو عاصي، حمدان رضوان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية)، مج 17، عدد 2، 2009م.  
67- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1985م.  
68- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح. عبد المجيد الترحيني، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.

- 69- العبيدي، رشيد عبد الرحمن، معجم الصوتيات، ط1، بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 2007م.
- 70- علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1993م.
- 71- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، 1997م.
- 72- الفارابي، أبو نصر، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة، دار الكاتب العربي.
- 73- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- 74- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، مرتباً على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
- 75- فليش، هنري، العربية الفصحى - نحو بناء لغوي جديد - تر. عبد الصبور شاهين، ط1، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1966م.
- 76- فياض، سليمان، معجم السمع والمسموعات، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 2000م.
- 77- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، ط3، دمشق، دار الفكر، 2008م.
- 78- القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2004م.
- 79- القسطلاني، لطائف القراءات، تح عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1972م.
- 80- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1922م.
- 81- القوسي، عبد الرزاق، العربية بالحروف اللاتينية، المجلة العربية، الرياض، 1440 هـ.
- 82- كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، تر. صالح القرمادي، الجامعة التونسية، 1966م.
- 83- المخزومي، مهدي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ط1، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، 1966م.
- 84- المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، بيروت، دار الرائد العربي، 1986م.
- 85- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2014م.
- 86- مطلب، غالب فاضل، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984م.
- 87- مقلاتي، إبراهيم، شرح مثلثات قطرب، (دون ناشر أو تاريخ).

- 88- ابن منظور، لسان العرب، تد. عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، دار المعارف.
- 89- ناصف، حفني، حياة اللغة، ط2، مطبعة جامعة القاهرة، 1958م.
- 90- نامي، خليل يحيى، نشر نقوش سامية قديمة، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1943م.
- 91- النحاس، أبو جعفر، صناعة الكتاب، تد. بدر أحمد ضيف، ط1، بيروت، دار العلوم العربية، 1990م.
- 92- ابن النديم، الفهرست، تد. رضا تجدد، (دون ناشر أو تاريخ).
- 93- النعيمي، حسام سعيد، أبحاث في أصوات العربية، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، 1998م.
- 94- ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تد. محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.
- 95- هلال، عبد الغفار، أصوات اللغة العربية، ط1، مكتبة وهبة، 1996م.
- 96- الهويريني، نصر، المطالع النصرية، تح. طه عبد المقصود، ط1، القاهرة، مكتبة السنة، 2005م.
- 97- ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط1، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1939م.



T.C

Mardin Artuklu Üniversitesi

Türkiye’de Yaşayan Diller Enstitüsü

Arap Dili ve Kültürü Anabilim Dalı

Yüksek Lisans Tezi

**OKUNUŞ, YAZILIŞ VE FONKSİYON  
BAĞLAMINDA ARAPÇADAKİ ÜNLÜ HARFLER**

Abdulhalit Abdullah

17765007

Danışman

**Dr. Öğr. Üyesi. Khaled ALADWANI**

**Mardin**

**2021**